الـمجدُ للشـاعـرات

100 تـدوينة عـن مائة شاعرة عربية

بقلم الشاعر : محمد إدومُ (Mohamed Idoumou)

1

أنَا والله أصْلحُ للمَعَالي

وأمْشِي مشْيَتي وأتِيهُ تِيها

أُمَكّنُ عاشقي من صحْنِ خدِّي

وأعطي قُبْلتي مَنْ يشْتَهِيها

من سوى الأميرة الأندلسية الخُلاسية الفاتنة ولادة بنت المستكفي طيب الله ثراها يمكنها أن تبدعَ هذا التصريح الشعري الصارخ؟

ومن غيرُ بنت المستكفي قيلَ فيها:

بِنْتُمْ وبِنَّا، فما ابْتَلّتْ جوانحُنا

شوقاً إليكُمْ، ولا جَفّتْ مَآقِينا

؟

#المجد_للشاعرات

2

وذي حاجةٍ قلنا لهُ لا تَبُحْ بها

فليسَ إليها ما حَييتَ سبيلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغي أنْ نَخونَهُ

وأنتَ لأخرى صاحبٌ وخليلُ

من غير العاشقة المستميتة، الفاتنة ، الفصيحة الشجاعة، العارفة سر العشق، المدركة معنى الوفاء ليلى الأخيلة يمكنها أن تبدع هذا ؟

ومن غير الأخيلية قيل فيها:

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة

من الدهر لا يسري إليَّ خيالها؟

ليلى كانت امرأة قوية وجميلة وشاعرة مجيدة وعاشقة مجاهرة بالعشق للرجل الذي تغزلت به حيا، وصرحت بحبه غائبا، و رَثَتْهُ ميتا ثلاثين عامًا عاشتها بعده، توبة بن الحمير.. رغم أن حبهما لم يتوّج باجتماع شملهما أبدا، إلا أنه ظل حكاية عشقٍ ملهمةً خلال أربعينات والنصف الأول من خمسينات القرن الأول الهجري!

ويقال إن توبة بن الحمير هذا لم ينظم بيت شعر واحداً إلا تغزلا بليلى!

#المجد_للشاعرات

3

#رابعةٌ_بنتُ_العراق_أمٌّ_التصوف..

أحبكَ حبينِ: حبَّ الهوى

وحبا لأنك أهل لذاكًا

فأما الذي هو حُبّ الهوى

فشُغلي بذكرِك عمّن سواكا

وأما الذي أنتَ أهلٌ له

فكشفُك للحُجْب حتى أراكا

تغمرنا الشاعرة، شهيدة العشق الإلهي (كما يسميها الدكتور عبد الرحمن بدوي) الصوفية، الكادحة، الناسكة، الزاهدة، التي عرفت الله حقاً فأحبته حقًا رابعة بنت إسماعيل العدوية، برقيق شعرها المتمحض في ذات الحب الصافي الزلال.

من أجمل ما قالت:

فليتــك تحـلو والحياة مريـرة

وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبينــي وبين العالمين خـراب

إذا صح منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب.

رغم أنها تنسب أحيانا لأبي فراس الحمداني، غير أنني لا أرى ذلك الرأي لثلاثة أساب:

أن الحمداني متأخر على رابعة بحوالي قرنين من الزمن؛

أن هذه الأبيات موغلة في التصوف الصارخ، ولم نعرفْ أبا فراس متصوفا؛

أن اهتمامي بشخصية رابعة وبحثي وراء حقيقتها التاريخية والصوفية والأدبية والإنسانية شكل لدي نوعًا من الإحساس المتواطئ، ويمكنني أن أجزم ولو بدون دليل أن "وكلَّ الذي فوق التراب ترابُ" هو جزء كبير من الرؤية الصوفية لرابعة العدوية..

وأبو فراس كاع كافيتو "أراكَ عصي الدمع"، لو لم يقل سواها لكفته!

للأسف الشديد تعرفت على رابعة من خلال الفاتنة نبيله عبيد التي جسدت شخصيتها في الفيلم السينمائي الرائع عن حياتها؛ غير أنني لاحقا عندما قرأت رابعة عرفت أن الفيلم ممتعٌ فعلا ولكنه شوَّهَ شخصيتها جدااااا! لقد قدم إنسانًا آخر مختلفا.

تقول الباحثة والمستشرقة الألمانية الأشهر على الإطلاق، الراحلة آنا ماري شيمل، الأستاذة في هارفارد لربع قرن، ومؤلفة كتاب "الأبعاد الصوفية في الإسلام" إنَّ رابعة العدوية هي أول من أدخل الحب الإلهي في فكر وفلسفة التصوف، بعد ذلك سيكون التصوف الإسلامي قائما ومرتكزا بشكل كامل على فكرة الحب هذه.

كانت رحمها الله شاعرة محبة وعارفة وشيخة من شيوخ الجيل الأول من الصوفيين.. وإني أحبها!

#المجد_للشاعرات

4

لَبَيتٌ تخفقُ الأرواحُ فيهِ

أحبّ إليَّ من قصرٍ منيفِ

ولبسُ عباءةٍ وتقرّ عيني

أحبّ إليَّ من لبسِ الشّفوفِ

وأكلُ كسيرةٍ في كسرِ بيتي

أحبّ إليَّ من أكلِ الرغيفِ

ميسون بنت بحدل، أم يزيد بن معاوية.. الأميرة الشاعرة التي أنهكها الحنين والشوق إلى بادية أهلها ومرابع صباها، رغم كل مقومات الراحة في قصرها المنيف بدمشق..

يقال إنها كانت تترنم بهذه الأبيات حتى أغضبت زوجها معاوية فطلقها... وعادت سعيدة إلى خيمة أهلها في البادية، وهنالك أنجبت يزيد (قبل قيام دولة بني أمية طبعًا).

وقد أورثت يزيداً شعرها وشاعريتها، يزيدُ الذي يقول في نصه الغزلي الشهير:

نالت على يدها مالم تنله يدي

نقشًا على معصمٍ أوهتْ به جلدي

ومنها:

وأمطرتْ لُؤلؤًا من نرجسٍ وسقتْ

وردًا، وعضَّتْ على العِنابِ بِالبَردِ

هل كان يمكن ليزيد بن معاوية أن يقولَ مثلا:

خُذوا بدمي ذاتَ الوشاحِ فإنني

رأيتُ بعيني في أناملها دمي

لو لم يكن تربية باديةٍ؟ لو لم يكن ابنَ ميسون الشاعرة؟

#المجد_للشاعرات

5

قد كـان ما كُلِّفْتُـهُ زمنـاً

يا طلٌ من وجدٍ بكم يكفي

حتى أتيتـكَ زائـراً عجلاً

أمشي على حتفٍ إلى حتفي

الأميرة، الشاعرة، ذات الصوت البهي، المُجيدة في العزف والغناء، علية بنت المهدي، ابنةُ ثالث خلفاء الدولة العباسية، وأختُ الخليفتين هارون الرشيد و إبراهيم بن المهدي (التنين)، وعمة الخلفاء: الأمين والمأمون والمعتصم بالله.

أحبت عليةُ طلاًّ، وكتبت فيه شعرا وغنته بصوتها على رؤوس الأشهاد.. وطلٌّ على ما يبدو رجلٌ جميلُ المحيَّى ويُحَبُّ، لكنه كان دون مستواها الاجتماعي... بل كان تحديدا أحد المكلفين بالخدمة اليدوية في قصر شقيقها هارون الرشيد.. إنها معضلة كبرى في عقلية من عاشوا في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري (كدتُ أقول وفِي عقلية بعض من يعيشون بيننا اليوم ولكنني سكتُّ وخلاص).

يورد الأصفهاني في أغانيه أن الرشيد وهو بالمناسبة معجب بأدب شقيقته وفصاحتها وغنائها وعزفها، قد نهاها عن حب طل، بل توعدها إن هي ذكرت اسمه مطلقا: وفي أحد الأيام كانت علية تقرأ بصوتها الجميل ما تيسر من سورة البقرة والرشيد غير بعيد ينصت إلى تلاوتها العطرة حتى وصلت إلى قوله تعالى: "فإن لم يصبها وابل فطل"، فتوقفت عند "وابل"، ثم نظرت إلى أخيها وأكملت من عندها: فإن لم يصبها وابل فـ"ذلك الذي نهى عَنْهُ أمير المؤمنين"..

كانت هذه "الحركة" -والعهدة على أبي فرَج- مبررًا ليتغاضى الخليفة لاحقا عن هذا الحب... ويترك لأخته بعض حرية التعبير عن مشاعرها!

يقالُ إنها كانت تحضرُ مجلس هارون الرشيد، بل وتجلس معه في صدر المجلس، كانت تملك شخصية قوية وصوتا جميلا وخيالا واسعا وعلاقة عميقة بالموسيقى، تعلمت الغناء على يد أمها، والموسيقى على يد أخيها المهدي، و إسحاق الموصلي.

حين اشتد بها الحرمان والحصار بدأت تكتب الشعر في الرجل الذي أحبته مع تغيير طفيف في اسمه حتى لا "يُفطَن لها"، ومن ذلك إضافة نقطة إلى اسمه مثلا:

أيا سروةَ البستانِ طالَ تشوّقي

فهل لي إلى "ظل" لديك سبيلُ

#المجد_للشاعرات

6

مهلاً فديتكَ.. مَهْلاً

عنانُ أحرى وأولى

فإنَّ عندي حراماً

منَ الشَّرابِ وحِلا

"عنان" الشاعرة الجميلة، المغنية المليحة التي عشقها الشعراء والأمراء و الوزراء، أما هي فعشقت الحياةَ وكتابة الشعر والغناءَ والدلالَ.. عاشت في بغداد في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري وأسلمت الروح بخراسان، بعد أن عاشت حياة مليئة بالشعر والشغف والطرب..

كانت شاعرةً "متينة العينِ شوي" فلها مثلا أبياتٌ فاحشة في "المستطرف" و "الأغاني" و "العقد الفريد" منها:

خليليَّ ما للعاشقينَ .....رُ

ولا لحبيبٍ لا يُنالُ سرورُ

فيا معشرَ العشاق ما أبغض الهوى

إذا كان في ....رِ الحبيبِ فُتورُ

(ملء الفراغ متروك لمن يعرفون موسيقى بحر الطويل ☺)

ولها:

أجَرِّعُه ريقي وأشربُ ريقَهُ

فما تنتهي مني ومنه المزاعقه

يقالُ إن أبا نواسٍ أحبها حبا جنونيا إلى حد أنها كانت إذًا مرضت يمرض، يقول في ذلك:

إنِّي حممتُ ، ولمْ أشعر بحُمَّـاكِ

حتَّى تحدَّث عوَّادي بشكـواكِ

فقلتُ ما كانتْ الحمَّى لتطرقني

من غيرِ ما سببٍ إلاَّ بحمَّـاكِ

كما كلِفَ بها العباس بن الأحنف ودعبل الخزاعي..

ولم تسجل كتبُ الأدبِ ولم يذكر رواته أنها بادلت أحدهم حبَّه حبا..

بالنسبة لي لو لم تقل عنانُ سوى هذا البيت لكفاها:

كذبَ الذين تقوَّلوا يا سيـدي

أن القلوبَ إذا هوينَ هوينا

ألا كذبوا يا عنانُ!

#المجد_للشاعرات

7

فلوْ أنَّ أهلي يعلمونَ تَميمَةً

عنِ الحبِّ تشفي قلّدوني التَّمائِمَا

أم الضحاك المحاربية، أو شاعرة الغزلِ الجاهلية الأولى، يقال إنه لم تحبّ امرأةٌ زوجَها كما أحبتْ أم الضحاك الضِّبابيَّ..

لم يُذكر شيءٌ عن زوجها سوى أنه رجل من بني الضِّباب.. وهي تذكره في شعرها دائما باسم "الضبابي" مثل قولها:

تعزَّيتُ عن حبِّ الضبابيِّ حقبةً

وكلُّ عمايا جاهلٍ ستثوبُ

يقولُ خليلُ النفس أنتِ مُريبةٌ

كلانا لعمري -قدْ صدقتَ- مُريبُ

ترجمَ لها أبو تمام في "حماسته"، ووردت لها أشعار في "كتاب الفصوص"...

طلقها زوجها، ولكنها لم تتوقف عن الولهِ به، وظلت تكتب فيه الشعر.. وتتمنى أن يعود ما انكسر بينهما..

في رحلتها للبحث عن شفاءٍ لحبها أو استعادةِ زوجها/حبيبها كتبتْ أم الضحاك:

سألتُ المحبِّينَ الذينَ تحمَّلوا

تباريحَ هذا الحبِّ في سالفِ الدهْرِ

فقلتُ لهم: ما يُذهِبُ الحبَّ بعدما

تبوَّأ ما بينَ الجوانحِ والصدْرِ

فقالوا: شفاءُ الحبِّ حبٌّ يزيلُه

لآخرَ، أو نأيٌ طويلٌ على هجْرِ

وكتبتْ أيضا:

شفاءُ الحبّ تقبيلٌ وضمٌّ

وَجرٌّ بالبطونِ على البطونِ

ولا نعرفُ أي "الوصفتين" اتبعت من أجل الشفاء من حبها!

#المجد_للشاعرات

8

تزودْ بنا زادًا فليسَ براجعِ

إلينا وصالٌ بعدَ هذا التقاطعِ

وكفكفْ بأطرافِ الدموع تمتّعاً

جفونَكَ من فيضِ الدموعِ الهوامعِ

هذه ليلى بن لكيز بن مرة، التي تلقب في كتب التراث الأدبي بليلى العفيفة..

تُروى عنها قصة حب عظيمة مع الفارس البراق بن روحان؛ ذلك الحب الذي وقفت في وجهه العقبات، أولها التزام أبيها بتزويجها لأحد ملوك اليمن، وثانيها عندما اختطفها ابن كسرى، بعدما سمع عن جمالها وجاذبيتها وحاول أن يتخذها خليلة، فرفضت، وتحملت في سبيل ذلك كل أنواع العذاب الجسدي والنفسي، لكي يظل جسدها وفيًا للرجل الذي أحبت (من هنا لقبت بالعفيفة).

يقال إنها وهي في الأسر الفارسي كانت تنشد قصيدة مطلعها:

ليتَ للبَرَّاقِ عينا فترى

ما ألاقي من بلاءٍ وعنَا

فوصلت الأبيات المستصرخة إلى مضارب بني ربيعة، فهب البراق الحبيب لنصرة حبيبته، وانتصر في معركة ضروس؛ طبعًا سينتصر وهو يقود جيشًا يضم ابنيْ أخته كليبًا والمهلهل إضافة إلى الحارث بن عباد و أبا نويرة التغلبي....الخ! كما يقال..

وهذه المرة تمكن الحبيبان من تتويج حبهما بالزواج.. وعاشا معًا حياة جميلة، ولكنها حرمتنا مواصلة ليلى كتابة الشعر..

نذكر في الأخير أن تلك القصيدة (ليت للبراق عينًا) نالت حظًا كبيرًا حيث لحنها القصبجي العظيم وغنتها أسمهان؛

وكانت قصة ليلي موضوعا لفيلم من كلاسيكيات السينما المصرية هو "ليلى بنت الصحراء" بطولة بهيجة حافظ وحسين رياض وزكي رستم.. (ولهذا الفيلم قصة سياسية مثيرة سأكتب عنها يوما...)

ولمن تابع مسلسل الزير سالم (بطولة سلوم حداد) لا شك استمع لقصة البرّاق وليلى بشيء من التفصيل (وبعض الزيادات الدرامية طبعًا)!

انتهت قصة ليلى والبراق نهاية سعيدة من منطق الحب.. ولكنها نهاية حزينة من منطق الشعر!

#المجد_للشاعرات

9

جَريتُ مع العشاقِ في حَلْبَةِ الهَوى
فَفُقْتُهُمُ سبقاً.. وجئتُ على رِسْلِي
فما لبسَ العشاقُ من حُللِ الهَوَى
ولا خلعوا، إلا الثيابَ التي أُبْلِي
ولا شربوا كأساً من الحبِّ مُرةً
ولا حلوةً، إلا شرابهمُ فضْلِي

إنها عِشْرِقَة، الشاعرة الجاهلية الجريئة.. إنها باختصار الأنثى التي وقفت على رؤوس الأشهاد وقالت إنها مرجعية وحجة ومدرسة في العشق.. فلم يرتفع صوتٌ معارض..

والعشرقة في اللغةِ شجرة بثمرها يُتَداوَى ويُتَجمَّلُ..

إنها شاعرة خارجة على النسق، وعن مألوف مثيلاتها في ذلك العصر اللاتي إن قلن الشعر فليكن بكاء في الغالب على رحيل أب أو أخ والسلام..

كانت أنثى مختلفة، ما حدا بأبي علي القالي أن يصفها في الأمالي بـ"الشاعرةُ الحيزبونُ العجوزُ الزّولة" وهذا في الحقيقة "كلام ماهو مطَّابق حتنتنت" عن شاعرة فريدة.. رغم أن القالي لم يُخْفِ إعجابه بالأبيات!

ثم إن مصادر الشعر غيبت شعرها حتى لم تصلنا منه إلا هذه الأبيات... أكان ذلك عن قصد وتواطئ من الذكوريين الذين دونوا التراث الأدبي؟

ربما!

أول مرة أسمع عن عشرقة، كانت في مقابلة مع الشاعر الحلبي والدبلوماسي السوري العظيم عمر أبو ريشة.. أورد لها أبياتًا وقال إنها من أفضل ما قرأ من الشعر الجاهلي فعلقت بذهني الأبيات وعلق بذهني أيضًا اسمها الغريبُ..

عشرقة "گاطعة" ويبدو أنها "عندها شي لذاك"... يحكى أنها كانت جميلة جداا وغنية جداا وذات شخصية قوية جداااا، ولها في الفروسية وميادين القتال صولاتٌ وجولاتٌ..

"...... وجئتُ على رِسلي" يااااااااااااااااألله وخلاص

#المجد_للشاعرات

10

أغارُ عليكَ من عَيْنَيْ رقيبي
ومنكَ ومنْ زمانِكَ والمكانِ
ولو أنّي خَبَأْتُكَ في عُيُوني
إلى يوم القيامةِ ما كفاني!

الشاعرة الأندلسية، الأديبة المثقفة، العاشقة، الصابرة على رَمَضِ العشق، صفية بنت الحاج الركونية، التي كانت مضرب المثل في الحسن، كأجمل امرأة في غرناطة قاطبةً.. وكانت إلى جانب ذلك ذات مالٍ وحسب وفصاحة وشخصية قوية..

وصفها لسان الدين بن الخطيب بأنها "أديبة أوانها، وشاعرة زمانها، فريدة الزمان في الحسن والظرف، والأدب".

عاشت قصة حب عظيمةً تشكلت خيوطها في الفترة التي أفل فيها نجم المرابطين وبدأت دولة الموحدين، إذ أحبت الشاعر والكاتب والوزير أبا جعفر بن سعيد وأحبها.. ولكنهما لم يهنآ بحبهما، إذ دخل على الخط طرفٌ ثالثٌ دمر هذا الحب ونسف أركانه.

الأمير الموحدي أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن والي غرناطة وابن السلطان، عشق صفية، وأرادها لنفسه، فحاصرهما ومنع اللقاء بينهما، ولم يزل بحبيبها، وزيره أبي جعفر، حتى لفق له تهمةً وأعدمه لينفرد بها...

في إحدى موجات الشوق جازفت صفية وكتبت إلى حبيبها وكانا حينها ممنوعين من التواصل:

أزوركَ أم تزورُ فإنّ قلبي

إلى ما تشتهي أبدًا يميلُ

وقد أمّلتُ أن تظمى وتضحى

إذا وافى إليكَ بيَ المقيلُ

فعجّل بالجوابِ فما جميلٌ

إباؤك عن بثينة يا جميلُ!

عندما أعدم حبيبها وأصبح الوالي يتربص بها الدوائر، غادرت غرناطة فرارا إلى مراكش، واستجارت بالسلطان عبد المؤمن الذي أجارها من ابنه، وعهد إليها بمهمة تعليم بناته حتى توفيت..

اعتزلت صفية الرجال، وهي تفتأ تذكر حبيبها الفقيد، وتنفر ممن سواه، وظل جسدها وروحها وفيين للرجل الذي أحبت، حتى رحلت عن دنيانا قبل أن تبلغ الخمسين..

#المجد_للشاعرات

11

عُيونُ مَهَا الفَلاةِ فداءُ عَيْني

وأجيادُ الظباءِ فداءُ جِيدي

أزيّنُ بالعقودِ، و إنَّ نحري

لأزينُ للعقودِ من العقودِ

ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً

وتشكو قامتي ثِقَلَ النُّهودِ

ولو جاورتُ في بلدٍ ثموداً

لما نزلَ العذابُ على ثمودِ

سلمى بنت القراطيسي، جميلةُ بغداد النرجسية، التي أحبت نفسها حدَّ الوله.

لما سمع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله هذه الأبيات، أرسل ثقةً للوقوف على حقيقة جمال هذه الشاعرة "المبلوگه"، ورجع الرسول مؤكدا أنها أجمل امرأة في بغداد ، وأضاف أنها على جمالها وكبريائها لعفيفة، لا تتركُ للرجال متسعا لمغازلتها..

في الحقيقة لا أدري كيف فكر الخليفة حين أخذ قراره بأن يرسل لها مالا وحليا قائلا: "استعيني بهذا على صون جمالك ورونقك وعفتك".

الخلفاء عندما يسمعون بجمال أنثى يرغبون عادة في ضمها إلى حريمهم... لذلك فاجأني تصرف هذا الخليفة!

سلمى كانت جميلة "وحاسه براصها"، ومما قرأتُ عن سبب عفتها أنها لم ترَ في بغداد رجلاً يستحقها...

تذكرتُ هنا قول درويش:

وتحسَّسَتْ أجَّاصَتينِ كبيرتينِ تُموِّجانِ حريرَها

فتنهَّدَت،

وتردَّدَتْ:

هل يستحقُّ أنوثتي أحدٌ سواي؟!

#المجد_للشاعرات

المجد لسلمى

12

لله درٌّ اللّيالي ما أُحَيْسَنَها

وما أُحَيْسَنَ منها ليلةَ الأحَدِ

لو كُنتَ حاضرَنا فيها وقدْ غفلتْ

عينُ الرقيبِ، فلم تنظرْ إلى أحدِ

أبصرتَ شمسَ الضُّحى في ساعدَيْ قمرٍ

بلْ ريمَ خازمةٍ في ساعِدَيْ أسدٍ

نزهون بنت القلاعي، جميلةُ غرناطة الفاتنة، الشاعرةُ الـ"مطلوصه عل غرظها"، توصفُ في كتب التراث الأدبي بأنها كانت شاعرةً ماجنةً، رغم أنني شخصيا لم أقفْ على "مُجونِ گبال أكبرْ من گدو".

كانت "كثيرة العشاق" والمريدين، وكان الوزير أبو بكر محمد بن سعيد مولعاً بها، وقد عاتبها مرة بشيء من الغيرة على تعدد "عشاقها" و كثرة رجال "مجلسها" قائلا:

يا منْ لها ألفُ خلٍّ

من عاشقٍ وصديقْ

أراكِ خليتِ للنــا

سِ منزلاً في الطريقْ

فأنشأت مجيبةً وأنشدت:

حللتَ أبا بكرٍ محلاً منعتُه
سواكَ.. وهل غير الحبيبِ له صدْري؟
وإنْ كانَ لي كمْ من حبيبٍ، فإنما
يقدِّمُ أهلُ الحقِّ فضلَ أبي بكْرِ

خاضت نزهون موجاتٍ هجائيةً مع اثنين من أبرز شعراء الدولة المرابطية: أبي بكر المخزومي الأعمى (الذي علمها الشعر أصلا)، وأبرز شعراء الزجل ابن قزمان. وقد "مسحت البلاط"بكليهما .. ولكنني أحاول أن أركز في هذه المعالجات على شعر الحب والغزل حصرًا.

#المجد_للشاعرات

13

هيفاءُ إنْ قالَ الزمانُ لها انْهَضِي

قالتْ روادِفُها: اقْعُدي وتمهَّلي

شمسة الموصلية، شاعرة عباسية مُقِلَّةٌ، لا تحتفظ كتب التراث الأدبي بالشيء الكثير عنها، سوى ما أورده صلاح الدين الصفدي حين وصفها بأنها كانت "شيخة وعالمة".. وأضيف من عندياتي أنها كانت شاعرة تعرف كيف ترسم..

أعجبني هذا البيت بغض النظر عن اتفاقي أو اختلافي مع النمط الجمالي الذي يقدمه..

ذلك التضادُّ العظيمُ بين الهَيَفِ المطلقِ من جهة، وسموِّ الرادِفَةِ (و لاهي بعد ذيك الي تجي عاكب "الراجفة") من جهة أخرى..

عدتُ بذائقتي إلى البيت الثالث بعدما بانت سعادُ كعبٍ؛

ثم إلى ما قبل ذلك قليلا، إلى النابغة في المتجردة، خصوصا قبل أن "يسقط النصيف" بأبيات ثلاثة أو أربعة.. ورأيتُ شمسة فيهما معًا، وهي تصف نفسها في هذا البيت/الصورة!

لا أدري لماذا تذكرتُ ـ وابتسمتُ ـ مرجان أحمد مرجان، حينما وقف عادل إمام مذهولًا أمام جيهان مراد (ميرفت أمين) وأطلق مقولته الشهيرة: "أهم حاجه في المرأة خلفيتها الحضارية"...

#المجد_للشاعرات

14

لي حبيبٌ لا يَنْثَني منْ عتابٍ

وإذا ما تركتُهُ زادَ تِيهَا

قالَ لي: هلْ رأيتِ لي من شبيهٍ؟

قلتُ عفوًا: وهلْ ترى لي شَبِيهَا؟!

حفصة بنت حمدون ابنة غوادلاخارا (أو وادي الحجارة) سليلة طُليطلة الأندلسية، غير بعيد من مجريط (مدريد).. شاعرة جريئة وإحدى رائدات شعر الغزل في الأندلس.

نقطة قوة حفصة أنها فتحت للأندلسات باب الغزل النسائي واخْتطَّت لهن الطريق واضحًا.. يقال إنها أول أندلسية غازلت في شعرها بشكل صريح، مع ذكر اسم المتغزَّل به/له/عليه دون مواربة.

#المجد_للشاعرات

15

أتَرى مُحيّايَ البديع جماله

وتظنّ يا هذا بأنك تَسلَمُ؟!

الشاعرة صفية البغدادية!

يبدو أن شاعرات بغداد إبان الدولة العباسية كنَّ يتنافسن في "البلـگة"..

كان "الغرور" موضة ذلك الجيل.

#المجد_للشاعرات

16

أنا لا أُحَبّذُ أن أكونَ النهرَ

كيْ لا أُحتَوَى في ضفتينْ

وأودُّ لو أغدو التّدفّقَ عينَهُ

كيْ لا أُكَرَّرَ .....مرتينْ.

الشاعرة السورية الجميلةُ روحاً، الأنيقة حرفا، بنتُ الشام، أختُ الحرفِ، صديقةُ الجمالِ، ربةُ القصيدة وأنثى الاحتمالات المجازية..

صديقتي الغالية وأستاذتي المبجلة ابتسام الصمادي..

تسافرُ أستاذةُ الأدبِ واللغة الإنجليزية بجامعة دمشق بعيدا لتزرعَ بين الغيماتِ الحُبلى قلبَها و ورذاذَ روحٍ وبتلاتِ حبٍّ وبذورَ جمالٍ ورسائلَ للوطن... ثم تعود لتنتظر معنا تساقط زخات المجاز وقطرات المعنى.. كطفلةٍ سعيدةٍ بنزول مطر غير متوقع!

أولُ شعر أسمعه منها مباشرة، كان في الجزائر، في البُلَيدة تحديدا، تركت مقعدها إلى جانبنا ومشت للمنصة واثقة الخطو والنظرات، وقالت ردًا على ولادة بنت المستكفي:

تَيَّاهَةٌ وأصرِّحُ

أمشي أمامي حيثما

خلفي المرايا والصبايا

للمعالي أصلحُ

وأُمكّنُ العشاقَ، لا من صحن خدّي، إنما

من لثم أرضٍ تستباح وتُذبحُ

تقول أيضا :

لا، لم أقعْ في الحبِّ يوماً

بل مشيتُ إليه ملء إرادتي عن عمدْ

وبهامةٍ مرفوعةٍ كالمجدْ

فوق الخيالِ يدٌ

وتحت َمناجم الإحساس فينا يَدْ .

في الفيديو المرفق: ابتسام في إلقاء لمقاطع من نصها "دنٌ إسبارطي"، تعلقُ الشاعرة على العنوان قائلة:

"كان الإسبارطيون يضعون الوليد في دن الخمر، فإن مات يعتبرونه ضعيفاً لا يستأهل الحياة، والشاعر الحقيقي يضع قصيدته في دن روحه"

ابتسام شاعرة عظيمة و مثقفة من الطراز الرفيع وأنا أحبها في القصيدة..

#المجد_للشاعرات

#المجد_للشام

17

اعتماد الرميكية، الشاعرة الجميلة المدللة، التي جعلت أبرز وآخر ملوك بني عباد، أبا القاسم محمد بن عباد، يختار لقبا ملكيا على مقاس اسمها: "المعتمد" اشتقاقا من "اعتماد"، لفرط حبها والهيام بها.

التقيا بين شطري بيتٍ من الشعر؛ تقول الحكاياتُ إن المعتمد كان يتنزه على ضفة الوادي الكبير مع صديقه وشاعر الأندلس العظيم ابن عمار، فتبادر للمعتمد شطرُ بيتٍ هو "صنعَ الريح ُمن الماءِ زَرَدْ"

وطلب من شاعره أن يجيزه (أي يكمله)، فتدخلت "شبيبة" كانت تنصتُ للحديث وقالت: "أيُّ درعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ"... كان اللقاء، ثم كان الحب!

أكثر ما يرد عنها في كتب التراث الأدبي أنها كانت مدللة و "خاسره"، ولها مزاج متقلب، وأن المعتمد بن عباد يجري في "أخلاگها" ويوفر كل طلباتها مهما كلفت ومهما بدت غريبة.. وكلما زادت شاعرتنا في تدللها زاد المعتمد في التفاني في تلبية رغباتها!

على دلالها، حين خيرها جند يوسف بن تاشفين بين البقاء في إشبيلية أو أن تكون إلى جانب زوجها في الأسر، خلعت ثوب الدلال وفضلت أن تكون وفية لزوجها، وهي إلى جانبه في سجن آغمات الشهير.. وصبرت!

عندما أراد المخرج حاتم علي تجسيدها في مسلسل "ملوك الطوائف" لم يجد أفضل من الفاتنة سلاف فواخرجي! وقد جسدت شخصيتها كأحسن ما يكون أمام تيم حسن.

#المجد_للشاعرات

18

يا معشر الناسِ ألا فاعجبوا

مما جنتهُ لوعةُ الحبِّ

حسبي بمن أهواه لو أنه

فارقني تابعَهُ قلبي

أم الكرام بنت المعتصم، الشاعرةُ الأميرةُ الجميلة، التي أحبَّت فتى دونَ مستواها الاجتماعي، وصرحت بذلك في شعرها... وتسببت في قتله.

كانت أم الكرام ابنةً لأحد ملوك الطوائف في دولة بني صمادح التي تتخد من ألمرية (Almeria حاليا) مقرا لها، والتي كانت تابعة لبلنسية (Valencia حاليا) قبل أن يستقل بها ملوكها أيام كانت الدولة الأندلسية الأموية تلفظ أنفاسها..

وكانَ في القصر عاملٌ جميل المحيى حسن الهيأة، به سمارٌ خفيف، يدعى السمار، فوقعت الأميرة المرهفة في غرامه ولم تُخْفِ ذلك.. وكتبت فيه موشحاتٍ كثيرةً!

ولأن أعداء الحب كثر، لم يصمد الحبيبانِ... تورد الحكايات أن أباها ثار غضبُهُ وقتل الفتى (ويقال أخصاه و نفاه).. وكانت تلك نهاية قصة عشقٍ، وقَّعت أم الكرام نهايتَها بهذين البيتين الحزينين:

ألا ليتَ شعري هل سبيلٌ لخُلوةٍ

ينزَّهُ عنها سمعُ كلِّ مُراقبِ

وَيَا عجباً أشتاقُ خُلوةَ من غَدَا

ومثواهُ ما بينَ الحشَا والتَّرائبِ

أم الكرام كانت شجاعةً في اقترافِ الحبِّ واغترافِ معينه، وشجاعةً في التعبير عن ذاك الحب.. ولكن المجتمع كان أقوى، ففقدنا أثرَ الـ"بوگوص" السمار، وخبا شعرُ أم الكرام لاحقا.. و أُسدِل الستار!

#المجد_للشاعرات

19

باحَ مجنونُ عامرٍ بهواه

وكتمتُ الهوى، فمت بوجْدِي

فإذا كانَ في القيامةِ نودي:

من قتيلُ الهوى؟ تقدَّمتُ وحدي!

ليلى العامرية وكفى! المعشوقةُ الأكثرُ شهرةً في تاريخ الأدب العربي وجغرافيا الحب في شبه الجزيرة العربية إلى يوم الناس هذا..

تتناقلُ الكتبُ القديمةُ والحكايا عشقَ قيس لليلى، ولكنها حين تتحدث عن حب ليلي لقيس تورد حبا خجولا، متذبذباً، "حَلقَتْ" صاحبتُه حبيبَها في أول فرصةٍ، وقلبت له ظهر المجن، وتزوجت من وردٍ الثقفي، ورحلت إلى الطائف، خالية القلب والوفاض من حب المجنون.. والحقيقةُ أن هذا الطرحَ لا يستقيم..

وتروي القصص أيضا أن سبب عدم اجتماع الحبيبين هو أن قيسا شبَّبَ بليلى قبل أن يخطبها..

وفكرتُ بمنطق الأعرابِ حينها وقدَّرت... وأزعم أن ذلك لم يكن سببًا كافيًا.. بل قرأتُ مرة أن العلة تعود لخلاف بين الأبوين في ذروة صراع أبناء العمومة...

تقول العامرية العاشقة:

كلانا مُظهر للناس بُغضا

وكلٌّ عندَ صاحبِه مَكينُ

تبلّغُنا العيونُ بما أردنا

وفي القلبينِ ثَمَّ هوىً دفينُ

حفظتُ وأنا غِرٌّ أغلبَ ديوان سيد العاشقين، وقائد فيلق المحبين ونبي الهيام الزلال مجنون ليلى.. ولكنَّ هذين البيتين لم يبرحا ذهني مطلقا:

تَعَلَّقْتُ ليلي وهي ذات ذؤابةٍ

ولم يبدُ للأترابِ من ثدْيها حَجْمُ

صغيرينِ نرعى البُهْمَ، يا ليتَ أنَّنا

إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبر البُهْمُ

ليلي لم تكن ضعيفةً ولم تكن خائنةً للعهدِ، ولم تستهنْ بحبيبها.. بل كانت عاشقة أرغمتها ظروفٌ أقوى على ترك حبها، ولاحقًا خانها رواةُ التراث الأدبي.

ليلي معشوقة خرافية وعاشقة أسطورية وشاعرة عظيمة وأيقونة خالدة.

#المجد_للشاعرات

20

أظرفُ مـا كانَ إذا ما صَحا

وَأَملحُ الناسِ إذا ما اِنتشى

يـا لَيتَني كنتُ حماماً لهُ

أو باشِقـاً يفعلُ بي ما يَشَا

خديجة بنت المأمون، الأميرةُ الجميلةُ، بنت الخليفة وأخت الخليفة.. كانت فتاةً عاشقةً و شاعرةً ومغنية وعازفة، وثائرة على تقاليد القصر.. يقال إنها تأثرت بعمتها علية بنت المهدي ولكنها كانت أكثر منها جرأة و "أطولَ لسانا".

أحبت أحدَ "عمال" القصر، ولم تفصح عن هويته في شعرها.. لا يُذكرُ في كتُبِ التراث الأدبي شيءٌ عن مصير هذا الحب.. ولكنني أتوقع أنه لم ينتهِ كما أرادَ له العاشقانِ المسكينانِ.

كانت خديجة تؤلف الشعر، وتلحنه وتغنيه ثم تعطي الكلمات واللحن لمغنيات القصر، وتشترط عليهن عدم البوح بالقائل... وطبعا، بعض المغنيات لا يحتفظن بالسر طويلا، خصوصا عند مجالسِ الخلفاء؛ وهكذا شاع شعرها، فلم تنكره، ولكنها كانت ذكية في عدم الإفصاح عن اسم حبيبها.

#المجد_للشاعرات

21

أحبَّت الشاعرةُ العراقية البارعةُ بنتُ عوفٍ سلماناً ابنَ همام حباً عظيمًا.. وأحبها سلمان، ثم أخذ التزاما من والدها، وغادر "مهاجرا" إلى اليمن بحثا عن فرصة عمل في "الجيش" حتى يوفر المهرَ المرتفع نسبيًا: عشرة آلاف درهمٍ!

ومضى الزمن بطيئا ولم يعد سلمان، ولم تجد البارعةُ عزاء إلا الشعر والغناء والدموع!

في إحدى مساءات الكوفة وكان هارون الرشيد في طريقه إلى بغداد قادمًا من رحلةِ حج، وأثناء جولة تفقديةٍ ليليةٍ في المدينة سمع (أو سمعت عيونه يوم كانت عيون القادة تسمع وترى معا) الشاعرةَ وهي تغني في ثلث الليل الأخير هذه الأبيات وتبكي وتُبكي من حولها.. فاستقصى خبرَها وخبرَ حبيبها!

هل أرى وجهَ حبيبٍ شَفَّني
بعدَ فِقْدانِيهِ إفْراطُ الجزَعْ
قد برى شوقي إليهِ أعْظُمِي
وبلى قلبي هواهُ وفَزَعْ
ليتَ دهراً مرّ والقلبُ به
جَذِلٌ، والعيشُ حلوٌ، قد رَجَعْ
وعفتْ آثاره منه فيا
ليتَ شعري ما بهِ الدهرُ صنَعْ؟

قد تمسَّكتُ على وجْدِي بـه

بجميلِ الصّبرِ لـوْ كانَ نَفَعْ

لاحقا أمر الخليفةُ أن يؤتى بسلمان، وحين قابله في بغداد، وسمع منه وجد في قلبه ما في قلب البارعة أو يزيد... أعطاه مالا وأمره أن يعود إلى الكوفة ليكمل قلبَه ونصفَ دينه..
وهو ما كان!

أحيانا تنتهي قصص الحب بشكل ساحر؛

وأحيانا تروي كتبُ التراث بعض القصص عن الحكام تثلج الصدر؛

وأحيانا يتحرك كل شيء لتلبية صرخة قلب أضناه الشوق وعصف به الحنين وأمرضه الفراق..

#المجد_للشاعرات

22

مَحا حبُّ يَحيى حبَّ بعْلي فَأَصبحتْ

لِيحيى توالي حبِّنا وَأوائِلُه

ألا بِأبي يحيى وَمثنى ردائهِ

وَحيثُ اِلتَقت من مَتنِ يحيى حمائِلُه.

شقراء بنت الحباب شاعرة أموية.. عُرفت بالجمال والجرأة.. لم أقف على "عنوانها" ومرابع حبها، وإن كنتُ أرجِّحُ أنها عاشت في دمشق.

أحبتْ شقراءُ يحيى ابنَ حمزة، يقالُ إنه كان قاضيا ويقال كان جنديًا.. وأميل شخصيًا إلى الرأي الأخير.

أحبته بجنون وخالفت تقاليد ذويها في البوح بمشاعرها علنا، خصوصا وهي امرأة مطلقة.

لم يألُ طليقها عمرو جهدًا في سبيل كبح جماح هذه المشاعر، بالضغط على اَهلها كي تكف لسانها على الأقل.. فحضْرَتُه (يوَنِّي حتَّ) غيرُ مرتاح لتشبيب زوجته السابقة بحبيبها الجديد.. ويعتبر الأمر إساءة إليه. ويبدو أنها نالتْ عقابا جسديا فقالت:

أأُضْرَبُ في يحيى وبيني وبينه

تنايف لو تسرى بها الريحُ كَلَّتِ؟

ألا ليتَ يحيى يومَ "عبهلَ"زارَنا

وإن نهلتْ منَّا السياطُ وعَلَّتِ

و تقولُ شقراءُ أيضا:

خليليَّ إن أصعدتُما أو هبطتُما

بلادا هوى نفسي بها فاذْكُرانِيا

ولا تدعا إن لامني ثمَّ لائمٌ

على سخَطِ الواشينَ أن تعْذُرانِيا

فقد شفَّ قلبي بعد طولِ تجلدٍ

أحاديثُ من يحيى تُشيبُ النواصيا

سأرعى ليحيى الودَّ ما هبت الصبا

وإن قطعوا في ذاكَ عمداً لسانِيا

الأبياتُ الأخيرةُ يوردها بعض كتاب التراث الأقدمين خصوصًا ابن طيفور في "بلاغات النساء"، لشاعرة أخرى من البصرة تدعى برَّة العدوية... لها هي الأخرى "يحياها"!

#المجد_للشاعرات

23

توعَّدَنِي قومي بقتلي وقتلِه

فقلتُ: اقتلوني وأخرجوه من الذنْبِ

ولا تُتبِعوهُ بعدَ قتلي أذيةً

كفَى بالذي يلقاه من شدة الحُبِّ

هكذا صرخت بثينة بنت حيان بن ثعلبة العذرية، حبيبةُ جميل ابن معمر، أفضلِ رجل عبَّر عن حبه شعرا، منذ فجر البشرية إلى يوم الناس هذا، من وجهة نظري طبعًا.

قيس وليلى قصة حب جميلة، ولكنني مشدودٌ ومعجب أكثر بقصة جميل وبثينة؛ إنهما حبيبان مثاليان.. لولا أن الظروف غدرت بهما..

نقطة قوة هذه القصة أنها قصة حب متكافئة عاطفيا، قصة ليس فيها طرف يحب بجنون، وطرف آخر "باشْ جاتْ غزّات"...

ديوان جميل مرجع في الحب، إنه سفر إبداعي في كل مرحل الحب ومحطاته وأحاسيسه ورغباته.. جميل لم يكتب شعرا في بثينة فقط، بل ترك لنا وثيقةً عشقيةً خالدة.

جميل كان نبي عشقٍ وبثينة كانت معجزته!

توفي جميل في مصر وحين وصل نعيه إلى بثينة في نجدٍ أنشدت:

وإن سُلوِّي عن جميلٍ لساعةٍ

من الدهر ما حانتْ، ولا حانَ حينُها

سواءٌ علينا يا جميلُ بن معْمرٍ

ـ إذا متَّ ـ بأساءُ الحياةِ ولينُها

من التفاصيل التي أرفض تصديقها أن بثينة تزوجت رجلا آخرا، كما يردُ في بعض كتب التراث الأدبي.. هذه النقطة تكاد تكون متناقضة مع شخصية بثينة، ومع منطق القصة كلها!

#المجد_للشاعرات

24

هجرتُكَ. لمّا أنْ هجرتكَ أصبحتْ

بِنَا شُمَّتًا تلكَ العيونُ الكواشِحُ

فلا يفرح الواشونَ بالهجرِ؛ ربما

أطالَ المحبُّ الهجرَ، والجيبُ ناصحُ

وتغدو النوى بينَ المحبين.. والهوى

مع القلبِ مَطْوِيٌّ عليهِ الجوانحُ

خيرة بنت أبي ضيغم البلويَّة، قالت تلك الأبيات بعد "ابْروفة" هجرٍ متبادل بينها وحبيبها، الذي لم تورد كتب التراث الأدبي له اسما أو وسمًا!

أحبَّت خيرة ابن عم لها؛ وكانا يلتقيان سرًا.. وحين علم أهلها حجبوها عنه، وأغلقوا كل قنوات الاتصال بين الجسدين، واستمرت جسور التواصل بين القلبين ممدودةً رغم أنف الجميع!

هنا تتذكر الشاعرة، التي توصف بالعفة في الكتب التي نقلت قصتها وشعرها، لقاءً مضى، ثم لا تخفي عنا شيئا:

وبتنا خِلافَ الحيِّ لا نحنُ مِنْهُمُ

ولا نحنُ بالأعداءِ مُختلِطانِ

نُرَجِّي يقيناً ساقطَ الطَّلِّ والنَّدى

من الليلِ بردًا موحشاً.. عَطِرانِ

نلودُ بذكر اللهِ عنا من الهَوى

وقد كان قلبانا بِهِ يَجِفَانِ

ونصدرُ عن أمرِ العفافِ، وربَّما

نَقَعْنا غليلَ النَّفْسِ بالرَّشَفَانِ

ذلك الارتباكُ اللذيذ بين هاجسِ الخوف من الله والنزوعِ إلى العفاف؛ في مقابل سلطان الهوى المستبد ورغبة الجسد العاشق.. وفِي الأخير تسكن النفس إلى شيءٍ من "الرَّشَفَانِ".. "وأصلْ بعد الصحه البارده".

لم أقِفْ على نهايةٍ محددة لقصة خيرة وحبيبها... ولكنني تمنيت في قرارة نفسي أن يكون الحبيبان عاشا على الأقل ليلة أخرى مثل تلك الليلة، وأن تكون خيرة أبرَّت قسمها:

فهلْ ليلةُ البطحاءِ عائدةٌ لَنَا

فدَتْهَا الليالي خيرُها وذميمُها

فإنْ هي عادتْ مثلها فألِيَّةٌ

عَليَّ وأيامَ الحرورِ أصومُها

أيام الحرور "بعد يْلَ ذاك" في شبه الجزيرة العربية صومها "ماهو بسيط"!

#المجد_للشاعرات

25

وإنَّ ولوجَ البيتِ حلٌّ لجَحْوَشٍ

إذا جاءَ والمستأذنونَ نِيامُ

الخنساء بنت التيحان، الشاعرة الحجازية الجميلة.. التي أعرضت صفحًا عن كل الحِجازيين من أبناء العمومة والجِيرة، وأحبت رجلا من الشام يدعى جحوشاً الخفاجيَّ؛ يزورُها حيناً ويختفي أحايينَ أخرى.

تقول:

وإنَّ لنا بالشامِ لو نستطيعُه

خليلاً لنا يا تيِّحانُ مُصافيَا

نعدُّ له الأيامَ من حبِّ ذِكرِه

ونحصي له يا تيحانُ اللياليَا

فليتَ المطايا قد رفعنك مصعداً

تجوبُ بأيديها الحرونِ الفيافيا

وتقول وهي تقاومُ سكراتِ الشوق في إحدى سفرات جحوش التي لم يعد منها سريعا؛ بل يقال إنه لم يعد مطلقا:

ألا إن وجْدي بالخفاجيِّ جحوشٍ

برى الجسمَ مني، فهو نِضوُ سقامِ

وأقسمُ إني قد وجدتُ بجحوش

كما وجدتْ عفراءُ بابنِ حِزامِ

وما أنا إلا مثلها غير أنني

مؤجِّلةٌ نفسي لوقتِ حمامِ

(وعفراء هذه إحدى الشاعرات العاشقات المشهورات، قد نفتح سفرها قريبا، ولو أنني "بشوفتي عليها شوي")

ملاحظة سياقية:

تتفق كتبُ التراث الأدبي على أن الخنساءَ بنت التيحان كانت شاعرةً جاهلية.. ولكن نفسَ الكتب تذكرُ في سياق آخر شاعرًا من بادية الشام، هو جحوش بن فضالة الخفاجي، عاصرَ المتنبي وأبا فراسٍ ومدحَ سيفَ الدولة الحمداني.....

فأي الجَحْوَشَينِ حبيبُ الخنساء بنت التيحان، وبينهما ثلاثةُ قرونٍ أو أكثر؟

شخصيا أميل (دون دليل ملموس: أعترف بذلك) إلى أن الخنساءَ عاشت في منطقة نجد مطلعَ القرن الرابع الهجري..

#المجد_للشاعرات

26

ألا لا أرى للرائحين بشاشة

إذا لم يكنْ في الرائحين حبيبُ

ضاحية شاعرةٌ "شبيبة" لا توجد معلومات كافية عن هويتها سوى أنها من قبيلة بني هلال، وأنها كانت تقطن عند سفح جبل غزوان، غير بعيدٍ من الطائف؛ وأنها عاشت قبل ظهور الإسلام قليلًا، وأنها كانت تهيمُ بحبيبٍ لا نعرف عنه شيئا..

أحبت ضاحية الهلالية حبيباً غائباً لسبب ما، وظلت على العهد تنتظره و تشكو البعد :

وإني لأنوي القصدَ ثم يردُّني

عن القصد ميلات الهوى فأميلُ

وما وجدُ مسجونٍ بصنعاءَ موثق

بساقيهِ من حبسِ الأميرِ كبولُ

وما ليلُ مولىً مُسْلمٍ بجريـرةٍ

لهُ بعدما نامَ العيونُ عويلُ

بأكثرَ مني لوعةً يومَ راعني

فراقُ حبيبٍ ما إليه سبيـلُ

هل التأمَ شملُ الحبيبانِ؟ أتمنى أن يكون ذلك حدث فعلا..

أيمكن أن تكون ضاحية قد تزوجت وأنجبت وأن يكون أحفادها قد نزحوا إبان "تغريبة بني هلال" الشهيرة إلى المغرب العربي وشمال إفريقيا، وأن يكون من بيننا الآن حفيدٌ أو حفيدةٌ لتلك العاشقة الوامقة؟!

ربما!

#المجد_للشاعرات

27

يا لقومي تعجّبوا مِن غَزالٍ

جائرٍ في محبّتي وهو جاري

ليتَ لو كان لي إليه سبيلٌ

فأقَضِّي من حبّه أوطاري!

هكذا قالت ولحنت وغنت الشاعرة الأندلسية الفاتنة أنس القلوب، كاشفةً عن حبها للشاعر و الوزير أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم (شقيق "وقيل ابن عم" الفقيه والفيلسوف ذائع الصيت ابن حزم الأندلسي).

جاء الرد سريعا من عبد الوهاب فأنشد أبياتًا جوابية منها:

لو علمنا بأن حبّكِ حقٌّ

لطلبْنَا الحياة منك بثارِ

وإذا ما الكرام همّوا بشيء

خاطروا بالنفوسِ في الأخطارِ

طبعًا هذا الحب الذي أوشك أن يبدأ وُئِدَ مباشرةً، حينما أحس المنصور بن أبي عامر (الوصي على الخليفة الصبي حينها، والحاكم الفعلي للأندلس) بالخطر.. فهو يعتبر أنس القلوب جزءً من ممتلكاته، ولا يحق لقلبها أن يخفق لرجل آخر.. لذلك تحسس سيفه غضبًا ووعيدا! كان يريد قتلهما معا.

أصعب (وددتُ أن أن أقول: أسوأ) ما في قصة الحبيبين أنهما كانا مجبرين على الاعتذار للمنصور عن اقتراف هذا الحب ، والتذلل لـ"حضرته" حتى يعفوَ عنهما... تقول أنس القلوب:

أذنبتُ ذنباً عظيماً

فكيف منه اعتذاري؟

والله قدّر هذا

ولم يكن باختياري..

ما يطمئنني هو أن الحب لا يذوب أو يذوي استجابةً لأوامر أميرٍ... وأتمنى أن يكون ذلك الاعتذار مجرد مناورة ذكية للحفاظ على حياتيهما لمواصلة حبهما في الخفاء.

#المجد_للشاعرات

28

متعة هي شاعرةٌ ومغنيةٌ وعازفةٌ من بغداد؛ هاجرت (أو هُجِّرَتْ) إلى الأندلس، وفيها تتلمذت موسيقيا على يد مواطنها زرياب الموصلي، الذي غادر هو الآخر بلده العراقَ مجبرًا واستقرَّ في الأندلس...

أحبَّت متعةُ رابعَ أمراء الدولة الأموية في الأندلس عبد الرحمن بن الحكم (عبد الرحمن الأوسط)، وكتمت هذا الحب فترة من الزمن، ولكنَّ الشابة المسحوقة اجتماعيًا امتلكت الشجاعة ذاتَ مجلسِ طربٍ وعبَّرت عن مشاعرها للرجل الذي أحبت مباشرة. إذ أنشأت وأنشدت:

يا من يُغطّي هواهُ
من ذا يُغطّي النهارا؟!
قد كنتُ أملكُ قلبي
حتى علقتُ فطارا!
يا ويلتا أتراهُ
لي كان، أو مستعارا؟
يا بأبي قرشيّ
خلعتُ فيه العذارا!

الأمير (المُكَرَّظُ عليه) الذي يبدو أنه كانت لديه مشاعر متبادلة ـ وإن أخفاها كبرياءً (ولل تعيوليلاً)ـ هشَّ وبشَّ لهذا التصريح...

زريابُ الموسيقار (أبو أزَوانْ الموريتاني ذي السلم الموسيقي الخماسي)، الذي يملك إحساسًا، والذي يفهم جيدا معنى الحب، ويدرك قيمة المشاعر، ويتفهم مرارة البعد عن الحبيب، خيَّر متعة بين البقاء معه أو أن تباشر حياتها مع الأمير.. فاختارت!

هنا أستحي أن أكتبَ، أو حتى أن أتصور أنْ يهديَ إنسانٌ إنساناً إلى إنسانٍ.. ولكن هذا هو الذي حدث (للأسف)..

#المجد_للشاعرات

29

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه

وأرَّقني ألاَّ خليلَ ألاعبُه

فوالله لولا خشية الله وحده

لحُرِّكَ من هذا السريرِ جوانبُه

بيتان جميلان، صاخبان، صارخان، ممتلئان، مثيران، "حاركان"، أنيقان، طافحان شجَنًا بكل ما يختلجُ به قلبُ وجسدُ أنثى فارقها الحبيب الخليل...

لا نعرف الشاعرة التي أبدعت هذين البيتين ولا نعرف أيضا شيئا عن حبيبها الذي تشتاق إليه؛ يذكر في الكتب فقط أن عمر بن الخطاب رضي الله عَنْهُ سمعَ الشاعرة العاشقة المشوقة تترنم بهما سَحرًا.. فاستفسر عن أمرها وحينَ علم أنها تشتاقُ زوجها الحبيبَ الغائبَ في الجيش بعثَ إليه مباشرة ليأتي!

يقال إن عمر استفسر لاحقا حفصة ابنته (أمنا) عن المدة التي يمكن للمرأة أن تصبرها عن "الفراش" فاقترحت ستة شهور..

هذان البيتان قادا إلى إصدار قرار يقضي أن الجندي يجب أن يأخذ عطلة كل ستة أشهر حتى يرى "أهله"!

اللهم لا اعتراض على رأي أم المؤمنين حفصة، ولكنني وددتُ أن يسأل أميرُ المؤمنين نساءً غيرها، ربما اقتصر البعد حينها على شهر واحد..

فستة شهور كثيرٌ بالنسبة للعاشقين الوامقين والعاشقات الوامقات!

#المجد_للشاعرات

30

تميمة بنت يوسف بن تاشفين، كانت مضرب المثل في الجمال والذكاء.. ابنة المرابطين، الشاعرة الأميرة، الصنهاجية الفاتنة، المغرورة و"المبلوكَة"!

إلى جانب جمالها وسلطانها كانت سيدة أعمال، من أثرى أثرياء مراكش وفاس، وكانت تشرف بنفسها على هذه الثروة ومضاعفتها بالتجارة، ولم تكن تستر وجهها، مثلها في ذلك مثل أغلب الصنهاجيات في ذلك العصر، فكان جمالُ محيَّاها سيفًا مسلولا يفتكُ بلا رحمة... ومع ذلك كانت تردُّ عشاقها الكثرَ خائبين دائما!

كان "مدير أعمالها" وهو أحد أشراف المدينة، غارقا حتى أذنيه في حبها، وهي تتجاهل ذلك الحب كعادتها مع من سواه.

ذات يوم كانا معاً في اجتماع "محاسبة وتدقيق"، وقد فطنت إلى أن الرجل يطيل النظر إلى وجهها كثيرا ويرتبك حينَ تضبطهُ..

فقالت تُحذِّره من التَّمادي:

هي الشمسُ مسكنُها في السماء

فَعَزِّ الفؤادَ عزاءً جميلاً

فلنْ تستطيعَ إليها الصعود

ولن تستطيعَ إليكَ النزولاً

كانت تميمةُ قاسيةً جدا في الردِّ والصدِّ

.. وبما أنها تُكنَّى في كتب التاريخ بأم طلحة فإنني أرجح أن رجلا ما كانَ مختلفًا، فسرقها من كبريائها وأنزلها من برجها العاجي، وجعل قلبها يخفق بالحب..

#المجد_للشاعرات

31

قصة عشقٍ وحبٍّ وحربْ..

الشاعرة الجميلة، الفارسة، الشُّجاعة، غزالةُ فاتنةُ بني شيبان. كان زوجها وحبيبها، شبيبُ ابن يزيد الشيباني قائدًا لجيش الخوارج الذي هزم الحجاج ابنَ يوسف الثقفيَّ في معركة الكوفة الشهيرة، وفي خمس معارك أخرى.

أحبَّتْ غزالةُ زوجَها شبيباً ولم تجلس في البيت تنتظره حتى يفرغ من حروبه وشؤونه الفكرية، ويعود إليها إما مَلكًا أو جثة؛

بل شاطرته فكرَه عن قناعةٍ وقاسمته ثورتَه عن وعي.. امتطت جوادها وامتشقت سيفها، وكانت إلى جانبه في قيادة الجيش تقاتل في سوح الحرب والحب معا!

يقال إن الحجاجَ على شجاعته وطغيانه كان يرهبها، خصوصا بعدما فر من مواجهتها على مشارف الكوفة؛!

يقول الشاعر عمران بن حطان الشيباني في ذلك معيرا الحجاج بالهروب في وجه غزالة:

أسَدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ

ربداءُ تجفلُ من صفير الصافرِ

هلاَّ برزتَ إلى "غزالة" في الوغى؟!

بل كان قلبك في جناحيْ طائر

كانت غزالة قد نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين، الأولى بسورة البقرة والثانية بسورة آل عمران (ركعتين مولاتهم متَّسعه).. وقد فعلت وعلى مهلها أيضا ترتيلا وتجويدًا، إمعانًا في تمرير رسالة مفادها أنها كسبت هذه الجولة من الحرب..

فقال بعض أنصار الأمويين حينها:

وفت الغزالة نذرها

يا رب لا تغفر لها

غزالة الشيبانية عاشقةٌ من نوع آخر... لم يكن قدَرها أن تكون امرأةً عادية، بل كانت حبيبةً وزوجةً استثنائيةً تعانقُ فَتَاهَا بين غبارِ الحرب وأوارِ الحب.

#المجد_للشاعرات

32

فضل؛ الشاعرة الجميلة الفصيحة، ابنةُ العراق التي كان "صالونها الأدبي" مَحَجًا للشعراء والأمراء والمغنين والعشاق والمثقفين.. وكانت إلى ذلك سيدةً مسموعة الرأي، مطاعةً، "گاطعةً" ذاتَ حضورٍ ووجاهةٍ في دهاليز الحكم، وعاشقةً للشاعر والكاتب سعيد ابنِ حميد .

لم يكن سعيدٌ سعيداً جدا بهذا الحب، ففي أغلب الأوقات تنتابه نوباتُ غيرةٍ، خصوصاً وأنَّ "مجلس" حبيبته عامرٌ بالنظراتِ والكلمات "الطيبة" التي تلقى على عواهنها.. قال لها مرةً في لحظة غيرة:

تنامينَ عن ليلي، وأسهرُهُ وحْدي

وأنْهَى جفوني أن تبثَّكَ ما عندي

فإن كنتِ لا تدرينَ ما قد فعلتِهِ

بِنَا، فانظري ماذا على قاتلِ العمْدِ

فأجابت:

وعيشكَ لو صرَّحتُ باسمكَ في الهوى

لأقصرتُ عن أشياءَ في الهزلِ والجدِّ

ولكنني أبدي لهذا مودتي

وذاكَ.. وأخلو فيكَ بالبثِّ الوجْدِ

مخافة أن يُغري بنا قولُ كاشحٍ

عدوًّا، فيسعى بالوصالِ إلى الصَّدِّ

ويبدو أن ذلك كان كافيا لامتصاص غضب الشاعر العاشق الغيور..

في الحقيقة يمكنني أن أصرِّحَ (وأتمنى أن لا تكون كَرْظَةً) أن فضلاً في البداية لم تكن تحب سعيداً كل ذلك الحب، بل كانت تحب إلى جانبه مغنيا في مجلسها يُسمَّى بنان بن عمرو.. وكانت تراوح في حبها بين الاثنين.

ولكنْ، و في فترة وجيزة تمكن حبٌّ سعيد من قلبها، وأخلصت له الود والوفاء، بل واصلت حبه حتى بعد أن افترقا بعد سنواتٍ لأسباب فكرية؛ حيث كانت فضلُ من عشاق آل البيت، ولم يكن سعيد (ما شْثَكَ عْلَ حدْ) محبًا لآل البيت، وبديهي أن أقول إن ذلك كان لأسبابٍ سياسية بحتةٍ، لا داعي لإثارتها الآن..

لفضلٍ هذا السجالُ الأديبُ "بالفالْ" مع الشاعر، أمير الكرخ (الضفة الغربية لبغداد) حينها، أبي دلفٍ العجلي:

قال مرَّةً في مجلسها (أو ربما في مجلسه):

قالوا: عشقتَ صغيرةً.. فأجبتهم

أشهى المطيِّ إليّ ما لم يُرْكبِ

كم بين حبةِ لؤلؤ مثقوبةٍ

نُظمتْ، وحبةِ لؤلؤٍ لم تُثقَبِ؟!

فقالت فضل:

إن المطيَّة لا يلذُّ ركوبُها

ما لم تُذللْ بالزمامِ وتُركَبِ

والدرُّ ليسَ بنافعٍ أصحابه

حتى يُؤلَّفَ للنظامِ بمِثقَبِ

وذلكَ حوارٌ ذو شجونٍ ليس لديَّ شخصيا ما يقالُ فيه.. سأتركه بينهما "حزْما"....

فضل البصرية، كانت شاعرة جميلة وذكية وفصيحة وقوية الشخصيةِ، طاغيتَها.. عاشت حياتها بـ"طربٍ"، حتى أحبت سعيدا، فأخذها هذا الحب بعيدا؛ وغيَّر فيها الكثير: في ذاتها، في تصرفاتها، وحتى في فكرها، وتقديرها للأمور..

وظل هذا الحب مهيمنًا على روحها وقلبها وجسدها حتى بعد افتراق الحبيبين ومضيٍّ كل واحد منهما إلى حال سبيله.

#المجد_للشاعرات

33

دَخْتَنوسُ بنت لقيط بن زرارة، شاعرة جاهلية جميلة، كانت امرأةً تجمعُ بين جمالِ الوجهِ، ورشاقة الجسم، ورجاحة العقل وحلاوة اللسان.. وهي حفيدة سيد بني تميم زرارة ابن عُدس!

تزوجت في مقتبل عمرها من ابنِ عمها أبي شريح عمرو بن عدس، وكان رجلا ثريا ومسنا أبخرَ الفم، و لم تصبر عليه وطلبت الطلاق..

ثم تزوجت عُمَيرا ابن زرارة وكان ثريا هو الآخر ولكنه كان نؤومَ الضحى وجباناً.. وقد مات في حضنها جُبناً في إحدى المعارك.

ثم التقت الرجل الذي أسرَ قلبها وأحبته بصدق.. التقت خالدًا الزراري وتزوجته، وكان وسيمًا، بهي الطلعة، شجاعا، ولكنه كان فقيرًا معدمًا، ومع ذلك أحبته وارتضته زوجًا وحبيبا حتى آخر أيام حياتها...

في إحدى الليالي والفقر يضرب بأطنابه أمام خيمة الحبيبين الجميلين؛ مرت إبل زوجها الأسبق، أبي شريح، فأرسلت له "مرسولا"، أنْ تبلغكَ ابنةُ عمك دختنوس السلامَ، وتقول لك اسْقِنا من لبنك!

لبَّى العجوز الثريُّ طلبَ طليقته، ولكنه أرسل مع المرسول رسالةً مشفرةً، ذهبت مثلا لاحقا..

إذ قال: قل لها "الصيفَ ضَيَعتِ اللبنَ" في إشارةٍ إلى أنها طلبت منه الطلاق صيفاً؛ كأنه يذكرها أنها معه لم يكن ينقصها شيءٌ، فضيعت هذه "النعمة".

ردَّتْ دختنوسُ عطية ابن العمِّ المغلَّفة بالمنِّ؛ وقالت وهي تضع يدها على كتف زوجها بفخرٍ: "هذا ومِذقةٌ خيرٌ" فذهبت مثلا أيضاً..

هذا تقصد زوجها (والمذقة يا سادتي هي الزْريگه الرْگيگه)...

دختنوس، التى سماها أبوها "المغامرُ"، لقيطٌ ابنُ زرارة، على إحدى بناتِ كسرى، رَثَتْ وهَجَتْ ومدحت، ولكنني لم أقف لها على شعرٍ في الحب.. يبدو أنها لم تترجم إحساسها كتابةً، أو كتبت ولم يصلنا، أو ربما اكتفت بأن تعيش الحبَّ دون الحاجة إلى كتابته أو الكتابة عنه..يحدثُ ذلك أحيانا!

عاشت دختنوس إلى جانب زوجها على "الرِّيقِ" والحب.. وعلى الحب ماتا!

#المجد_للشاعرات

مية بنت مقاتل(مَيْ) حفيدة الصحابيِّ قيس بن عاصم، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا سيد أهل الوبر"؛ عُرفت بالجمال الصارخ، الذي لا يقاوم... أحبَّها الشاعر المعروف بالقصَرِ والفقر والدمامة غيلانُ ذو الرّمة.. الذي تقول عنه أمه: "اسمعوا شعره ولا تنظروا إلى وجهه" (يسمحلي حق والديَّ).

في الحقيقة هناك امرأتان في حياة الشاعر، العاشق العظيم ذي الرمة، ذي "الذاتِ الشَّيْنَةِ":

مي الجميلة، التي اكتفت بالاستمتاع بشعره عندما كانت "هجَّالةً"، ثم تزوجت وتركته مصلوبًا على نار الحب؛ وهناك خرقاءُ وهي امرأةٌ "طايْبَه"، شاعرةٌ أديبةٌ أريبةٌ، كان يمر عليه الحجاج إيابا وذهابًا إلى مكة فـ"تُحاسِنُهُم" وتُسمِعهم وتسمعُ منهم، وهنا تعرَّفت على غيلان.

يقول غيلان في مي:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ

رخيمُ الحواشي، لا هُراءٌ ولا نزرُ

وعينانِ قال الله: كونا فكانتا

فعولانِ بالألباب ما تفعلُ الخمرُ

ويقول في خرقاء:

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا

على خرقاءَ واضعة اللثامِ

هناك ثلاثة روايات حول ميَّة وخرقاء :

أن خرقاء هي ذاتها مي بعد أن كبرت؛

أن خرقاء هي امرأة أخرى ارتبط بها ذو الرمة بعد أن أصابه القنوط من مي؛

أن خرقاء امرأة عشقت ذا الرمة ولم تنله لأن قلبه كان "مشغولًا"!

شخصيا أميل إلى الرواية الأخيرة، وأميل إلى خرقاء، ولا تعجبني شخصية مي مطلقا..

ولكنني لستُ ذا الرمة؛ ففي واقع الأمر كان غيلان عاشقًا متصوفا في جمال مي؛ وسواء كانت مي هي خرقاء أم لا، فإننا أمام أنثى ألهمت شاعرا عظيما ديوانَ شعر ملونا بالحب والعشق والفقد والبكاء و الشوق واللوعة والحرمان.. وطافحا بالسحر والإبداع.

هكذا يصف العاشق محبوبته، ولقد وقفتُ ساهما ومشدوها أمام هذا الوصف:

عَجزاءُ، مَمكورَةٌ، خَمصانَةٌ، قَلِقٌ

عَنها الوِشاحُ... وَتَمَّ الجِسمُ وَالقَصَبُ

زَينُ الثِيابِ وَإِنْ أَثوابُها اِستُلِبَت

عَلى الحَشِيَّةِ يَوما زانَها السَلَبُ

#المجد_للشاعرات

نقف اليوم عند الصحابية الجليلة والشاعرة العظيمة، جميلة جميلاتِ قريش، عاتكة بنت زيد العدوية.

أحبها وتزوجها أربعةٌ من الصحابة رضوان الله عليهم، واستشهدوا جميعًا!

أولهم عبد لله ابن أبي بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب ثم الزبير بن العوام، وآخر أزواجها وعشاقها هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهيد كربلاء، الحسين ابن علي كرم الله وجهه (وقيل رابعهم زيد ابن الخطاب بدل الحسين، وقيل بل كان أزواجها ثلاثة فقط)

عاشت عاتكة قصة حبٍّ عظيمةً مع عبد الله ابن أبي بكر الصديق، زوجها الأول، وقد هام في حبها حتى عطّله حبُّها عن التجارة وأمور الدنيا الأخرى.. بل عطله مرةً عن صلاة الجمعة حتى فاتته دون أن ينتبه، مما أثار حفيظة والده.

وأغلظ له القول حتى طلقها مُجبرًا، تحت بند البرور:

وقال في ذلك:

أعاتكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ

وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُحلّقُ

ولم أرَ مثلي طلق اليومَ مِثلَها

ولا مثلها في غير شيء تُطلّقُ

فلما سمع ذلك أبو بكر أمره أن يعود إليها.. وأن يحاول الجمع بين الحب من جهة، و أمور دنياه وآخرته من جهة أخرى..

في إحدى لحظات الهيام طلب عبد الله من عاتكة ألا تتزوج بعده إذا مات، وأعطاها مقابل ذلك الوعدِ بستانا!

في غزوة الطائف استشهد عبد الله، فالتزمت عاتكة بالعهد الذي قطعته على نفسها.. ولكنها سرعان ما وجدت "مخرجًا" فقهيًا، وزُفَّت إلى عمر ابن الخطاب، فأرسلت إليها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (أخت عبد الله) أن ردِّي علينا بستاننا، ففعلتْ..

عاتكة شاعرة صقيلة الحرفِ، رثت أزواجها الأربعة بشعر جميل صادق، ثم رفضت أن تتزوج بعدهم... وقد قيل حينها "من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة".

يقال إنها كلما كبرتْ في السن زاد جمالها وبهاؤها وشبابها، وأنها كانت متواضعة لا تكادُ تشعر بذلك الجمال الذي حباها الله به.. وكانت إلى ذلك عابدة زاهدة!

#المجد_للشاعرات

36

حُبَيْشَةُ بنت حبيش العامرية، شاعرةٌ جميلةٌ من بادية مكة رآها الفتى اليافع الذي يصغرها سنًا عبد الله بن علقمة أثناء زيارة عائلية بين الأسرتين فهامَ بها من النظرة الأولى.. وتعشَّقها حتى الموت!

في طريق العودة من الزيارة همسَ عبد الله لأمه سائلًا ومجيبا نفسه:

يا أُمَّنا خَبّرينا، غَيرَ كاذِبَةٍ

وَلا تَشوبي سؤولَ الخيرِ بالكذِبِ

حُبَيشُ أحسَنُ أمْ ظَبيٌ بَرابيَةٍ؟!

لا بل حُبيشةُ من دُرٍّ وَمن ذهَبِ

كان عشقُ الحبيبين مستحيلًا، عبد الله صغير ويتيم ولم تكن حبيشة ابنة عمه عن قرب، وكانا يسكنان ربعين متباعدين بينهما جفوةٌ تمنع المصاهرةَ... ورغم ذلك تمسكا ببعضهما واكتفيا بلقاءات مسروقة.

عُرضَت على عبد الله كل بناتِ عمومته ليختار بينهن، كي يعدلَ عن قرار قلبه فلم يتنازل!

كان يقول لأمه بعد كل اقتراحٍ "والله إنها لحسناء، ولكنني أحب حبيشة"!

وعلى الطرف الآخر حوصرت حبيشة فلم يزدها ذلك إلا إصرارًا!

بعد فتح مكة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالدا ابن الوليد على رأس سرية إلى بني جذيمة، في بلدة اسمها الغميصاء، جنوب مكة في منطقة "يلملم"؛ ويبدو أن السرية التي لم تكن مأذونة بالقتال، قد أسرت رجالاً من بني جذيمة وقتلتهم لاحقا، ما اعتُبرَ خطأً جسيمًا أرسل الرسول على إثره علياً كرم الله وجهه ليصلح ما فسد!

المهم في قصتنا أن الفتى اليافع عبد الله ابنَ علقمة كان ممن قُتلَ في تلك الموقعة.

حين أيقن العاشق الغرُّ النهاية طلبَ أن يؤتى حبيبته، فحُمل إليها مصفدا، ودار بينهما حوارٌ شعري جميل و مؤلم.

أقتطعُ منه هذه الرقعة الصغيرة الملونة:

قال:

فها أنا مأسورٌ لديكِ مكبلٌ

وما أنا بعد اليوم بالعتْبِ ناطقُ

قالت:

أرَى لكَ أسْبَاباً أظُنّكَ مُخْرِجاً

بهَا النّفسَ من جَنبيّ والرّوحُ زَاهقُ

فقال:

فإنْ يَقتُلوني، يا حُبَيشُ، فلم يَدَعْ

هَوَاكِ لهُمْ مِني سِوَى غُلّةِ الصّدرِ.

وَأنتِ التي قَقّلتِ جِلْدِي عَلى دَمي

وَعَظمي وَأسبَلتِ الدموعَ على النّهرِ

ثم دُقَّ عنقُه.. ويقال إن حبيشة لم تزل متمسكةً بجثته تلثم خده و تبكي، حتى صعدت روحها إلى باريها..

حبيشة و عبد الله عاشقان لم يجدا متسعا من الحياة ليحبا بعضهما علنًا وفي وضح النهار؛

ولكنهما رافقا بعضهما في رحلة الموت..

مات الجسدان وبقيت قصتهما روحاً ترفرف و حكايةً ترُوى!

#المجد_للشاعرات

37

يحكى أن إحدى جميلاتِ العراق التي لم يرد لها اسمٌ محددٌ في كتبِ التراث الأدبى كانت شاعرةً أديبةً أريبةً، وكان حبيبُها علاء الدين البصري يهيم بها عشقاً.. عاشا مُترفَيْنِ سعيدين في كنَفِ الثراءِ والحبِّ و"الدُّنْيا بِخير"... حتى كشَّرَ الدهرُ عن أنيابِهِ فأصبحا بين عشية وضحاها فقيرينِ مُعدمينِ لا يجدانِ الكفافَ.

صبرًا طويلاً على الحال و اكتفيا بالحبِّ قوتاً وسقفاً وكساءً..

وحين اشتدت الفاقة بهما اقترحت الحبيبة على حبيبها أن يبيعها.. آه نسيتُ أن أقول إن الحبيبة كانت جارية بمنطق ذلك الزمن.. وشخصيا أعتقد أن منطق السيد يختفي عند ما يشرق منطق الحبيب.. (في الحقيقة ما زلتُ أشعر بالأسى كلما قرأت عن إنسانٍ يباعُ وأشعر بالأسى أكثر عندما أضطر إلى الكتابة عنه).

المهم أن الحبيبين ركنا إلى هذا الاقتراح، ستجدُ الحبيبة سقفا آخر يحميها من بطش عاديات الزمن، ويحصل علاء الدين على مالٍ يقيم أَوَدَه... وبيعت "الحبيبةُ" إلى عمر ابن عبيد الله ابن معمر، وهو والي البصرة حينها بتكليفٍ من عبد الله ابن الزبير (في دولته التي أعلنها بالحجاز بـ"الموازاةِ المسلحة" مع دولة الأمويين.. ولم تدم طويلًا)

فلما انتهى كل شيء (و آلتْ "بها" الأحوالُ آخر وقفةٍ إلى كلمات ما لهنّ حروفُ) استشعرت العاشقةُ الكليمةُ ألمَ الفراق الذي بدأ قبل أن يبدأ، فأسندت مشاعرها المتضاربة على متن الشعر، و قالت بشيء من العتب:

هنيئاً لكَ المالُ الذي قد أخذْتَهُ
ولم يبقَ في كفيّ إلا تذكُّري
أقولُ لنفسي وهي في كربِ عِيشَةٍ:
أقِلّي فقدْ بانَ الحبيبُ أوَ اكْثِري
إذا لمْ يكنْ للأمرِ عندكِ حيلةٌ
ولَمْ تجدي شيئًا سوى الصبر.. فاصْبري
العاشق المعلق بين الرغبة في البقاء إلى جانب حبيبته، و خيار التخلي عنها لتعيش ويعيش قالَ مجيبا:
فلولا قُعودُ الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ
يفرِّقُنا شيءٌ سوى الموت فاصْبري
أؤوبُ بحزنٍ من فراقكِ موجعٍ
أناجي به قلباً كثيرَ التفكرِ
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا
ولا وَصْلَ إلا أن يشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فقال ابنُ معمر على الفور متأثرا بهذه المرافعة الغرامية: "قد شئتُ.. خذها ولكَ المالُ أيضاً، فانصرفا راشدين، فوالله لا كنتُ سببًا في فراق محبين"

كان المشهدُ خرافيًا وأسطوريا وملهما وغير مألوف..

#المجد_للشاعرات

38

وإني لتعروني لذكراكِ رعْدَةٌ

لها بينَ جسمي والعظامِ دَبيبُ

عروة

عفراء بنت عقال بن مهاصر بن مالك العذرية

شاعرةٌ حجازية عُرفت بالجمالِ والسحر، وأنها كانت "دلُّوعة" أمها، وأنها ارتبطت بعلاقةِ حبٍّ عاصفٍ مع عروة ابن حزام ابن مهاصر العذري.. علاقة حب بدأت منذ بواكير الطفولة ولم تنتهِ بعد...

تَيَتَّمَ عروة ابن حزام صغيرا، فوجد في كنف عمه الرحمة والرأفة والحضنَ الأبويَّ.. ووجد في بيته أيضاً بذرةَ حبٍّ، كبرتْ معه، حتى احتلَّت كيانَه وامتلكت وُجوده... فأصبح يدين بملة العشق ويكتوي بناره.

و بودلَ عروةُ الحبَّ مضاعفًا كأقصى ما يمكنُ لبدويةٍ أن تحبَّ وأن تعبر...

وعندما أصبح هذا الحب خارجاً عن سيطرة الكتمانِ ومتجاوزًا مبدأ التقية" الذي انتهجاهُ... خرجَ زمام الأمرِ من يد العاشقَينِ وأصبح بيد المجتمع، فحُجِبت عفراءُ حتى إشعار جديد..

كان على الفتى اليافع أن يطلب يد محبوبته علنا، وبما ألاَّ شائبة نسب تمنع هذا الزواج ولا "عيبٌ يردُّ به"، فقد طلبَ عمُّه ثمانين ناقة مهرًا لعفراء، بإيعاز من زوجته التي لا تريد عروة زوجا لابنتها.. ما بدا حينها شرطاً تعجيزيا!

يقول عروة

يُطالِبُني عمّي ثمانينَ ناقةً

وما ليَ يا عفراءُ إلاّ ثمانِيا

قرر عروة أن يطالَ المستحيلَ، فسافر إلى اليمن للاستنجاد بابنِ عمٍّ ثريٍّ، معروف بالكرم والشهامة؛ سمعَ منه القصة فأعطاه مائة ناقة!

ولكنه عاد بعد فوت الأوان.. كانت فترة غيابه كافية لتُزفَّ عفراءُ إلى رجلٍ من بني أمية، وتسافرَ إلى الشام.. إلى البلقاء تحديدا (في الأردن حاليًا)!

أيسكتُ العاشقُ؟ وهو يتذكر العهدَ و آخرَ مرةٍ رأى حبيبته "امْتَوْمَه اصباعها"

وآخِرُ عَهْدي من عُفَيْراءَ أنَّها

تُديرُ بَناناً كُلَّهُنَّ خضيبُ

لا طبعًا!

سافرَ يقتفي أثر عفراءَ حتى وصل إلى حيها، فاستضافه زوجها في بيته و أكرمَ وفادته وضيافته كرجلٍ من أصهاره، دون أن يعرف حقيقة مشاعره تجاه زوجته!

ولم يكن عروة يُرِيدُ أكثر من هذا،

كان أقصى طموحه نظرة تشفي الغليل، و تحيي النفسَ الآيلة للهلاك. ولما قضى وطرَ النظر إلى وجه الحبيبة قفلَ راجعًا..

أكان النظر إلى الحبيبة دواءً لعروة أم تأجيجا للداء؟

في طريق العودة وافته المنية عشقا وكمدًا بوادٍ قرب المدينة المنورة... وصل الخبرُ الأليم إلى عفراء، فاستأذنت من زوجها لتقيم مأتمًا على وفاة ابن عمها.. فوافق!

سافرت إلى القبرِ وأقامت رفقة نسوةٍ من قومها مأتمًا عظيماً ومناحةً دامت ثلاثة أيام بلياليها، وهي تذرف الدموع وتنشد الأشعار في رثاء فقيد القلبِ حتى فاضت روحها.. ودُفنت إلى جانبه.

الحبُّ في هذه القصة نما وترعرع بين الجوانح مع كل إشراقةِ شمسٍ وغروبها، تربَّى بين الابتسامات والنظرات وتفاصيل الحياة اليومية؛ وحين نضجَ وشبَّ عن الطوق وبلغَ أشده تناهشته خناجر ذوي القربي، وتحول العم الذي كان سندَ الطفولة سدًّا منيعًا في وجه اجتماع الحبيبين.

وهكذا ضاعَ حبٌّ عظيم! لا شيءَ أصعب من ضياعِ حب عظيم.

#المجد_للشاعرات

39

هند بنت النعمان ابن المنذر شاعرةٌ آيةٌ في الجمال والبلاغةِ والكاريزما، تربت في بيت ملكي بالحيرة، فهي ابنة أشهر ملوك المناذرة؛ كتبتْ الشعر وعشقت وعُشقت و"تكَرْكَرَتْ" حتى انتهى بها المطافُ راهبةً عجوزاً مثقلةً بالذكريات والشجن والحب.

أحبها الشاعر عدي بن زيد العبادي، الداهية، الفصيح، الذي كان مترجمًا في بلاط كسرى؛ وقد دخلَ حبُّها قلبَه وهي صغيرة، ولم يزل بها يزورها ويتودد إليها حتى نضجت، وشغفها حبا كما شغفته. تزوجها ولم يسعفها القدر لتعيش طويلًا في كنف الحب، إذ اختلف والدُها وزُوجها فزُجَّ بالأخير في السجن ثم قُتِل غيلةً.

ثم إن كسرى بعد ذلك خطب هنداً، فلم ترضَ به، إذ عاهدت نفسها ألا تتزوج بعد عدي.. ردَّ المنذر خطبة كسرى، فحلَّ به نفس ما حل بحبيبها، إذ سُجنَ حتى قضى في السجن.. ولكن كسرى قرر أن يحظى بهندٍ انتقاما لكرامته، فكان ذلك سببًا في تحالف القبائل العربية في المنطقة دفاعا عن "شرف" امرأةٍ منهم، ووفاءً لوعدٍ قطعوه لوالدها المغدور.. فكان يومُ "ذي قار" بكل أسطوريته.

وأبرت هندٌ قسمها، فرغم جمالها المشهود لم تتزوج بعد عديّ، بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك، فقد لبست مسوحَ الرهبان وزهدت في الدنيا، واعتزلت الناسَ راهبةً تعبد ربها في دير منعزل يحمل اسمها "دير هند الصغرى"، بمنطقة ما بين الحيرة والكوفة.

عُمِّرت هند وعاشت مائة عام، يقال إنه لما وصلت جيوش الفتح الاسلامي إلى منطقة الحيرة، ووصلوا الدير الذي اعتزلت فيه،

دخل عليها خالد ابن الوليد وعرض عليها الاسلام، فاعتذرت عن تغيير ديانتها على كِبَرٍ فكان لها ذلك.. تركوها ولم يتعرضوا لها ولمن معها بأذى.

بعد ذلك بسنواتٍ، وتحديدا في منتصف القرن الهجري الأول أرسِل الصحابيُّ الجليل المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة فزار هندا في ديرها، وهي عمياء تجاوزت التسعين من عمرها، وعرَّفها على نفسه..

قالت: فما حاجتكَ؟

قال: جِئتكِ خاطبًا إليك نَفْسَكِ.

قالت: أمَا واللهِ لو كُنتَ جِئتَ تبغي جَمَالًا أو دِينًا أو حَسَبًا لزوَّجناك، ولكنك أردتَ أن تجلس في مَوسم من مواسم العرب، فتقول: تزوَّجتُ هندا بنت النُّعمان ابن المُنذِر!

تحكى عنها قصة مع الحجاج ابن يوسف الثقفي، أنه تزوجها وأنها قالت:

وما هِندُ إلا مُهْرَةٌ عربية

سليلةُ أفراسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ

فإن وَلَدَتْ فَحْلًا فللهِ دَرُّهَا

وإن وَلَدَتْ بَغْلًا فجاء بِهِ البَغْلُ

ولكن هذا لا يستقيم من منطقٍ تاريخيٍّ بحت..

فتلكَ هندُ أخرى بنت بشير ابن سعد ابن ثعلبة الخزرجية.

كانت هند في آخرِ عمرها، وهي على أعتابِ المائة، تفتأ تذكر عديًّا رغم الرهبنة والزهد واعتزال الحياة...

#المجد_للشاعرات

40

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها؟

أم هلْ سبيلٌ إلى نصرِ ابنِ حَجَّاج؟

فريعة بنت همام فتاة من المدينة المنورة، معروفة في قومها بالذلفاء، كانت "مَطْلوصَةً على غَرْظها" تقول ما تشاءُ، وتعبِّر شعراً عما يختلج في نفسها.. وهي أم الحجاج ابن يوسف الثقفي.

كتبت أبياتًا غزلية متحررةً في الرجل الذي أحبته، الشاعر "الفاتِن" نصر ابن حجاج السُّلمي.

ونصر ابن حجاج هذا حكايةٌ لوحده، قيل إنه كان جميلا بدرجة مبالغ فيها، كان يُسمَّى "المُتَمَنَّى لكثرة اللاتي تمنَّينه. لما وصلت الأبيات الآنفة إلى مسامع عمر ابن الخطاب دعاه وأمر أن يُحلقَ شعره.. فبدا أجمل مما كان.

تقول الذلفاءُ في ذلك:

حلقوا رأسَهُ ليكسب قبحاً

غيرةً منهمُ عليهِ وشحا

كان صبحًا عليه ليلٌ بهيمٌ

فمحوا ليلَهُ وأبقوهُ صُبْحا

استشاط عمر غضباً، و أرسله إلى البصرةِ لكي "لا يُفسدَ أخلاق" بناتِ المدينة المنورة؛ وهناك هامت به شُميلة بنت جنادة، زوجة مجاشع ابن مسعود والي البصرة، فأرسله الأخير إلى إقليم آخر.. وظلوا يتداولونه بين الأقاليم، وفي كل إقليم تحبه فتاة جديدة.. أو فتيات!

يقال إن نصرًا لما تعب من هذا الوضع قال لهم: والله إن لم تتركوني بحالي لألحقنَّ بالشِّركِ..

فأخبروا أمير المؤمنين بذلك فقال: اتركوه هناكَ ولكن "جزوا شعره وشمروا قميصه والزموه المسجد".. طبعًا "جزوا" هذه المرة تختلف عن "الحلاقة".. إنه "الجَزُّ" يا سادة يا كرام!!

مع كامل الاحترام لرأي عمر، ولكن نصرًا لم يرتكب جريرة يستحق عليها هذا العقابَ سوى أنه كان جميلا و گطَّاع اگلايَدْ"..

نعود إلى الذلفاء.. حين علمت أن أبياتها وصلت إلى عمر ابن الخطاب "هَرْبَلَتْ" و أرسلت له أبياتًا منها:

قلْ للإمام الذي تُخشى بوادرُه

مالي وللخمرِ أو نصرِ بن حجاج؟!

إني غنيتُ ـ أبا حفصٍ ـ بغيرهما:

شربِ الحليبِ وطرفٍ قاصرٍ ساج

ثم إنها لما لم تجد سبيلًا إلى حبيبها "المَنفيِّ" تزوجت المغيرة بن شعبة.. ثم تزوجت لاحقا ابنَ عمها يوسف ابن الحكم الثقفي وسافرت معه إلى الطائف.. وأنجبت كليباً (الذي سيعرف بالحجاج لاحقا).

#المجد_للشاعرات

41

سُعدى الأسدية شاعرة جاهلية، جميلة وفصيحة، تُعدُّ من اللواتي سجلن أسماءهن في سِفْر العشق ونذرنَ أنفسهن للحب حياةً وموتاً.

في بادية من بوادي الحجاز، تربَّتْ سُعدى، وهناك تسلل الحب إلى قلبها وانفجرت مشاعرها تجاه ابن عم لها، لم يُذكر له اسمٌ في كتب التراث الأدبي التي أوردت القصة.. أحبته صغيرةً وبادلها الحب مضاعفًا؛ وكبرا ومعهما كبرت العاطفةُ و تقلصت المسافةُ حتى صارا بمثابة نفسٍ واحدة لفرط الحب والتعلق.

وحين شباً وقفتْ الحواجز المجتمعية ضد الارتباط، رفض الأبوانِ تزويج العاشقين اليافعين، لأسبابٍ قيل إنها طبقية اجتماعية و قيل بل اقتصادية "رأسمالية".. وطبعا لم تَخْبُ نارُ الحب أمام "برودة" العائلتين..

حُجبت سعدى ثم زُوِّجت لاحقا، يقال إنها لم تترك زوجها يقترب منها، وساءت حالتها، وآل جسدها إلى الهزال...
وحين اشتد ألم الفراق على حبيبها راسلها خِلسةً يعتب عليها قبول الزواج وتمكين رجل آخر من نفسها، ويتعهد لها أنه لن يتزوج مطلقا..

فأرسلت إليه هذه الأبيات مُجيبةً، و واعدته مكانًا كانا يلتقيان فيه سرا:

حبيبيَ لا تعجلْ لتفهمَ حُجتي

كفانيَ ما بي من بلاءٍ ومن جهدِ

ومن عبَراتٍ تعتريني وزفرةٍ
تكادُ لها نفسي تسيلُ من الوجدِ
غُلِبتُ على نفسي جهاراً ولم أطِقْ
خلافاً على أهلي بهزل ولا جِدِّ
ولن يمنعوني أن أموتَ بزعمهم
غداً خوفَ هذا العار في جَدث وحدي
فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمسْ
مكاني، فنشكو ما تحملتُ من جهد

وصل الحبيبُ فجرا إلى "هناك"، حيث الموعد المعلوم، ولكنه وجد حبيبته جثةً هامدة. ماتت كمدا قبل أن تضم حبيبها.. فحملها إلى بقعة منعزلة بين جبلين، واحتضن الجسد الذي غادرته الروح.. وظل على هذا الوضع لا يفعل شيئا حتى فارق الحياة.

بُحِثَ عن الحبيبين في كل مكان، فلم يُعثر عليهما، و ظُنَّ أنهما هربا، فأرسلت الركبانُ إلى الأحياء المجاورة لاستعادة الحبيبين المارقين.. ولكنهما كانا أقرب من ذلك إذ وُجِدا بعد أيام متعانقين بشِعْبٍ في جبلٍ.. فدُفنا في قبر واحد وباتت سعدى أيقونة للحب يُتَغنى بها في مضارب بني أسدٍ.

#المجد_للشاعرات

42

هند الهمذانية، لا نعرف الكثير عنها سوى هذه القصة المتواترة في كتب التراث الأدبي تحكي موقفا يجمع الحبَّ والغيرةَ و"تكتيكات" النساء في الحفاظ على أحبتهن وأزواجهن..

وتبينُ عن أنثى شاعرةٍ حد السِّحر، ولها قوامُ جسدٍ آسر.

كان عثمان زوج هند وحبيبها جنديا في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؛ وقد التحق بجيش الإسلام الذي فتح منطقة آذربيجان بقيادة الصحابي عتبة ابن فرقد السلمي..
وبعد انتصار المسلمين وتوقيع اتفاق دفع الجزية مع الأذريين، رافقَ عثمانُ جميلةً فارسيَّةً تسمى الحبابة، واقتنى فرسا سماها الورد وطابَ له المقام!

عاد الجندُ ولم يعدْ عثمان..

سألت هند كثيرا عن أخبار زوجها، وهي على جناح الشوق، فصدمها الخبرُ الذي نقله رفاق السلاح عن رفيقهم...

فراسلته بهذه الأبيات النارية:

لعمري لئن شطَّت بعثمانَ دارُه

وأضحى غنياً بالحُبابة والوردِ

ألا فاقرِهِ مني السلامَ وقل له:

غَنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُردِ

إذا شاءَ منهم ناشئٌ مدَّ كفَّه

إلى كَفَلٍ ريان أو كعثبٍ نهْدِ

بحمد أمير المؤمنين أقرَّهُم

شباباً، وأغزاكم خوالف في الجندِ

فما كنتمُ تقضونَ حاجةَ أهلِكُم

قريباً، فيقضوها على النأيِ والبعدِ

فأرسلْ إلينا بالسَّراحِ فإنَّهُ

مُنانا، ولا ندعو لكَ اللهَ بالرُّشدِ

إذا رجعَ الجندُ الذي أنتَ منهمُ

فزادكَ ربُّ الناسِ بعداً على بعدِ

وصلت الرسالةُ فوقع قلبُ عثمان: هند الحبيبة تبيح جسدها لمراهقي المدينة المنورة؛ وتذكرُ مفاتنها الجسدية التي يعرفها حق المعرفة، من كَفَلٍ ونهدٍ وكَعْثَبٍ؛ وعثمان "كيفشي الَّ ما كانْ اكبرْ من گدو حت"..

اعتلى "الوردَ" وقطعَ المسافة إلى المدينة غما وهما وغيرة..

وحين وصل وجد زوجته راكعةً في فناء منزلها: ولا أثر لزينة أو تبرجٍ؛ كأي امرأة "مُغِيبةٍ" في ذلك العصر.

قال: يا هندُ أفعلتِ ما قلتِ؟!

قالت: اللهُ أجلُّ في عيني وأعظم من أن أرتكبَ إثمًا، ولكنْ كيف وجدتَ طعمَ الغيرة؟!

فإنك غظتني فغظتك.

واستعادت هندُ حبيبها بعد أن كاد يذوب ويصبح "عينْ بَيْظَه" بين فاتنات منطقة القوقاز!

#المجد_للشاعرات

43

نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية؛ يحكى أنها كانت من جميلات العراق، كانت تقيم في بادية السماوة، وكانت من أسرة مسيحية عريقة.. وكانت شاعرة مجيدة وذاتَ أفضلِ مَبْسَمٍ في بلاد الرافدين.

أسلم أخوها ضب ابن الفرافصة، فخطبها منه أمير المؤمنين، ذو النورين عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فزوجها إياه وهي ما تزال نصرانيةً.. وأسلمت بعد أن دخل بها عثمان بفترة.

في الطريق إلى المدنية كانت حزينة، لم تكن تريد هذا السفر ولم ترغب في هذه الزيجة.

تخاطبُ أخاها:

ألستَ ترى يا ضبُّ بالله أنني

مصاحبةٌ نحوَ المدينةِ أركبَا

إذا قطعوا حزنا تحثُّ ركابهم

كما زعزعت ريحٌ يراعاً مُثقَّبا

لقد كان في أبناءِ حصنِ ابنِ ضمضمٍ

- لك الويلُ - ما يُغني الخباءَ المطنَّبا

ولكن ذلك الحزنَ لم يدم طويلًا.. فقد أحبَّت نائلةُ زوجها، وتفانت في دينها الجديد؛ وأحبها عثمانُ، وكان يأخذ برأيها ويتفاءل بمشورتها.

لما ابْتُليَ الإسلامُ بتلك "الفتنة" التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه (والتي لا أريد الدخول في تفاصيلها المؤلمة)

كانت مواقف نائلة مواقفاً بطوليةً تنم عن حبٍّ عظيمٍ، واستعداد للموتِ دفاعًا عن الرجل الذي أحبته.

حين هوجمَ ذو النورين في بيته، تلقت أولَ ضربة بالسيف موجهةً إليه بيدها حتى قُطعت أصابعها، وقيل إنها قاتلت دونه بالسيف، وأن الضربة التي قتلته قطعت أصابع يدها الأخرى، وهي تحاول الدفاع عنها.

وحين خِيفَ تشييعُ جثمانه، ولم يجرؤ أحد على القيام بذلك.. أخذت المهمة على عاتقها، وحملته إلى البقيع، وجمعت سرًا ثلة من المسلمين للصلاة عليه ودفنه، من بينهم الصحابي جبير ابن مطعم.

ثم رثته بشعر جميل!

عاشت طويلًا بعد عثمان ولكنها رفضت أن تتزوج؛ رغم كثرة خطابها والمتقدمين إليها.. كان آخرهم معاوية ابن أبي سفيان، فلما ردته سألت رفيقاتها ماذا يحب الخُطابُ فيها.

قالوا:ثناياك!

إذ كانت أسنانها ساحرة وابتسامتها جميلة تضفي عليها حسنا مضاعفًا.

فخلعت ثناياها وأرسلتهم إلى معاوية.

وقالت: خلعت أسناني حتى لا يطمع في رجلٌ بعد عثمان.

نائلة بنت الفرافصة كانت رحمها الله زوجةً وحبيبةً من طينة نادرة ..

#المجد_للشاعرات

كان للشاعرِ الجاهليِّ الحكيم حرثان ابنِ محرث المعروفِ علمًا بذي الإصبع العدواني أربعُ بنات جميلاتٍ وأديباتٍ وشاعراتٍ و "هجَّالاتٍ". يحكى أنه كان يحبهنَّ كثيرا لدرجة أنه كان يغارُ عليهنّ من مجرد فكرة الزواج.. فردَّ أرْتالَ الخُطَّابِ واحداً تلوَ الآخر.

في إحدى الأمسيات بعد أن انتصف الليلُ، استمعَ ذو الإصبع خلسةً إلى بناته وهن يتناجَيْنَ فيما بينهن في "كلام نواعم"... وكان الموضوع يدور حول مواصفات فارس الأحلام.

قالت الأولى (ولعلها أمامةُ الشاعرة المشهورة) :

ألا ليتَ زوجي من أناسٍ ذوي غِنى

وسيمُ المُحيَّى طيبُ الذكرِ والعطرِ

لصوقٌ بأكبادِ النساءِ كأنه

خليفةُ جانٍ لا ينامُ على وِتْرِ

وقالت الثانية:

ألا ليْتَهُ يُعْطَى السخاءَ بديئةً

لهُ جفنةٌ يُسقى بها النيبُ والجزرُ

لهُ محكماتُ الدَّهرِ من غيرِ كبرةٍ

تشينُ، فلا فانٍ ولا ضَرَعٌ غمْرُ

وقالت الثالثة:

ألا هلْ تراها ليلةً وضجيعُها

أشم كنصلِ السيف غير مُبَلَّدِ

عليمٌ بأدواءِ النساء؛ وأصلُه

ـ إذا ما انتمى ـ من أهلِ بيتي ومحتدي

ولئن كانت الأولى تريدُ رجلًا غنيًا وسيمًا وذا عِطْرٍ أخَّاذٍ و"جانتلمانا" يعرف كيف يتصرف مع النساء؛

والثانية تريده كريماً سخيًا وَذَا سمعة حسنة ومتواضعاً؛

والثالثة تريد حبيباً "گاطعاً" وذا تجربة مع النساء وابنَ عمِّها شرطًا...

فإن الشقيقة الرابعة لم تحتجْ إلى بحر الطويل، و لا إلى مواصفاتٍ محددة فقالت ببساطةِ و لهفةِ أنثى أتعبتها "السنجلة":

"زوجٌ من عودْ خيرٌ من قعودْ"!

يقال إن الأبَ الشاعرَ الحكيمَ ذَا الإصبع العدواني عندئذ لم يجد بدًّا من تزويج بناته مُكْرهًا!

وأعتقدُ جازمًا أن "مُداخلة" الشقيقة الرابعة كانت حاسمةً في قرار الرجل!

ألف مبروك

#المجد_للشاعرات

45

الزَّباء بنت عمير بن الموَّرق، شاعرة مخضرمة جميلة الشكل، قوية الشخصية، ذات مال وحسب ونسب، تضاربت الآراء هل كانت من الشام أم الحجاز.

عُرِفت الزباء بموقفها الرافض للحب والزواج

يقال إن ذلك كان ردة فعل على سلوكِ "حبيب خائن"؛

ويقال بل مجرد موقف "فكريٍّ" ترى صاحبته أن الزواج سيجرِّدها من حريتها وشخصيتها، وتتحول من سيدةِ نفسها إلى تابعةٍ لشخص آخر؛ لذلك اختارت أن تعيش حريتها بدل الارتباط برجل..

تقولُ:

أمِن بعدِ أن أمسي وأصبحُ حرّةً

وليسَ عليَّ للرجال يدانِ

أصيرُ لزوجٍ مثل مملوكةٍ لهُ

لبِئْسَ إذاً ما يكتبُ المَلكَانِ

لَعيْشٌ بضرّ أو بضنكٍ وحاجةٍ

مع العزّ خيرٌ من صروف زمانِ

بعد الزباء بأربعةِ قرون عاشت بقرطبة الشاعرة والأديبة عائشة بنت أحمد القرطبية.. يقال إنها كانت أجمل وأفصح نساءِ الأندلس في القرن الرابع الهجري.

كانت حياتها منصبة على الأدب و"آمسگري" الخُطَّابِ.

تقولُ وقد أطالَ أحد الشُّعراء مراودتها عن نفسها، ولم يفلح معه عذرٌ أو صدٌّ:

أنا لبوةٌ لكنني لا أرتضي
نفسي مناخاً طولَ دهري من أحدْ
ولوَ أنني اختارُ ذلك لم أجبْ
كلباً، وكم أغلقتُ سمعي عن أسدْ

يُطلقُ على عائشة في كتب التراث الأدبي اسمَ "أخت الرجال".. أعتقد شخصيا أن كل من همَّ بمفاتحتها في موضوع الحب والزواج تقول بن "خلّينا اخُّوتْ و اصْحابْ".

تشترك الزباء وعائشة في أن كلتيهما كانت جميلةً وثريةً وشاعرةً وكثيرةَ العشاق والخطاب والمُريدين، وأن مساحة "الفريندزون" عندهما كانت فسيحةً.. و أن كلتيهما توفيت وهي عذراء.

كنتُ أحب أن أتضامنَ مع الرجال ضحايا الشاعرتين الجميلتين، ولكنني في هذا النوع من المواقفِ تعودتُ أن أخونَ معسكرَ الرجال، وأن أكون في صفِّ المرأة دائما!

لذلك:

فـ #المجد_للشاعرات على كل حال!

عقيلة بنت الضحاك، حفيدةُ المنذر ابنِ ماء السماء، شاعرةٌ عاشقة، أحبَّت ابنَ عمها عَمْرا ابنَ كعبٍ.. وفي غمرة الحب عَنَّ للحبيبِ سفرٌ إلى اليمامة في "مهمة عمل".. وتركَ الحبيبة تتقلب على نار الشوق.

يقول الفرزدق إن صديقًا له مقربًا يُسمَّى الخَضِرَ حكى له أنه كان مسافرًا إلى اليمامة، ومرَّ بمضارب خيام الحبيبين عقيلة وعمرو (دون أن يعرف)، طلبًا للقِرى، فأكرموه وأحسنوا ضيافته..

ومن حسن الضيافة حديثٌ في الشعر والأدب مع المضيفة الجميلة، يقول عنها الخضر ☹كأنها سبيكة فضة و كأن عينيها كوكبان دريان).

وبعد القِرى والسمر، وحوارٍ في نقائضِ الفرزدق وجرير ؛سألت عقيلة ضيفها: أينَ تَؤُمُّ؟!

فقال: اليمامة!

فقالت:

تُذكرني بلاداً خيرَ أهلي

بها أهلُ المروءة والكرامة

سألَ الخضر كأيِّ مسافر "جَقَّاف":

أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بعلٍ؟

قالت (ويبدو أنها في وادٍ آخر :

إذا رقد النيامُ فإن عَمْراً
تؤرقه الهمومُ إلى الصباحِ
تُقَطِّعُ قلبَه الذكرى وقلبي
فلا هو بالخَلِّيِ ولا بِصاحِ
سقى الله اليمامة دار قوم
بها عمروٌ يحنُّ إلى الرَّواحِ

قال الخضر: في شيء من "التخراگ" لا شك، طمعا في "تطّييبِ مجلسٍ" مع هذه الفاتنة:

ومن عمرو؟!

قالت:

سألتَ ولو علمتَ كففت عنِّي
ومن لكَ بالجوابِ سوى الخبير
فإن تكُ ذا قبول إن عَمرًا
هو القمرُ المنيرُ المستنيرُ
ومالي بالتَّبعُّلِ مستراحٌ
ولو رد التبعلُ لي أسيري

ثم أردفت عقيلةُ، كأنها تنقل مشهداً مُصورا يمرُّ أمامها:

يخيَّلُ لى أيا عَمْرُو ابنُ كعبٍ
كأنكَ قد حُمِلتَ على سريرِ
يسيرُ بكَ الهُوينى القومُ لمَّا
رماكَ الحبُّ بالعَلَق العَسيرِ
فإن تكُ هكذا يا عمرُو إني
مُبكرةٌ عليك إلى القبورِ

ثم فارقت الحياةَ.

يقول الخضرُ للفرزدق: فسألتُ القومَ من الفتاةُ؟ فقيل لي هي عقيلة بنت الضحاك. سألت ومن عمرو هذا؟ فقيل حبيبها، غائبٌ في سفر إلى اليمامة..

وحين وصلتُ اليمامة سألتُ فعلمتُ أن عَمراً دُفِنَ في نفس اليوم ونفس اللحظة.

ماتَ الحبيبان معاً في وقتٍ واحدٍ ومكانين مختلفين.. إن للروحِ سلطانًا قويًا، وقدرةً على التحليقِ وطيِّ المسافةِ؛ خصوصا عندما تكون روحاً مشتاقةً، عاشقةً راجفةً حُبًّا!

إننا بحاجة لهذا الصنف من الحب، حتى ولو بدا أسطوريًا..

#المجد_للشاعرات

أحبَّت الشاعرةُ الجميلة وحشيةُ الجرمية، يزيداً ابنَ الصمة، المعروفَ بيزيد ابنِ الطثرية (نسبةً إلى أمه)، كان يلقب بـ"المودق" لأنه إذا جلس بين النساء ودقهن (أي استأنَسْنَ به).

كان يزيد دونجوانا وكازانوفا في نفس الوقت، يُحكى عنه الجمالُ المفرطُ وحلاوةُ اللسان وكثرةُ "التسدار"..... إلى أن التقى وحشية، فتغير كل شيء في شخصية الرجل ومسار حياته، وأصبح عاشقًا متيما.

قصة لقاء العاشقين قصة غرائبية بعض الشيء، ولكن لا بد من المرور بها سريعا.

يقول الرواة إن قبيلة وحشية (جرم) حل بها جدبٌ، فارتحلت إلى مضارب قبيلة يزيد (قشير)؛

وكان في جرم فتى جميلُ الوجه، شاعرُ الكلماتِ، حلوُ اللسان يُسمَّى ميادا الجرمي، كان يختلف إلى نساء قشير عندما يذهب الرجال.

فثارت ثائرة قشيرٍ... واحتكم رجال القبيلتين إلى "حل عجيب": أن تُرَشِّح كل قبيلة أفضلَ شبابها، فيذهب إلى الحي الآخر، في غياب رجاله.. والهدف هو أن يختبروا "تربية بناتهم" ومدى "محافظتهن"..

فاختير مياد من طرف جرم.. وبطبيعة الحال لا أحد في قشير يصلح للمهمة كيزيد.

تقولُ الروايات إن ميادا رجع منهكًا من آثار ضرب نساء قشير له؛ بينما عاد يزيد من مغامرته تلك بعشرات "السُّوفنيرات":

بَراقِعُ وخواتمُ وأساورُ ودمالجُ وقلائدُ من كل "شبيبات" جرم.. فلما نظر رجالُ جرم إلى "غنيمة" الرجلِ تعرفوا على "أشياء" نسائهم وفهموا أنهن سقطن في الاختبار، فدبت الغيرة فيهم، و"كسحوا"، وارتحلوا بعيدا..

القصة غريبة بعض الشيء ولكنها متواترةٌ في كتب التراث الأدبي، شخصيا قرأتها عند الأصفهاني في أغانيه، وقرأتها في "حديث الأربعاء" لطه حسين قبل أزيد من عشرين عاما!

المهمُّ أن يزيدا في هذه الزيارة الاستعراضية عاد بحب وحشية؛ فقد تمكنت من قلبه واحتلت تفكيره.. ولكن الجفاءَ كان قد بدأ فعليًا بين القبيلتين، مما ينذر بحبٍّ مستحيلٍ.. خصوصاً بعد رحيل وحشية وربعها.

استوى يزيد على عرش العشق، ومرض حتى شارف على الموت، وكان له صديقٌ مقرب اسمه خليفة ابن بوزل قرر أن يجازف ويحمل صديقه إلى حبيبته، حتى ولو أدى ذلك إلى هلاكهما معا.. في الطريق انتعش يزيد واستعاد كاملَ عافيته.

اختبأ الصديقان غير بعيد من منازل القوم، وكانَ خليفة يذهب كل يوم يتسقَّطُ الأخبارَ ويفكر في طريقة مأمونة، ومن أهم الأخبار المشجعة التي عرفها أن وحشية هي الأخرى مريضة بحب يزيد وتترنم باسمه.

استطاع يزيد الدخول إلى المضارب ليلاً، يمشي على أربعٍ متخفيا بين الماعز، بمساعدة الراعي الوفي.. وأقام في خباء حبيبته ثلاث ليال في غفلة من الجميع...

في إحدي المراسلات لاحقا بين الحبيبين يقول يزيد:

أُحِبُّكِ أطرافَ النهارِ بشاشةً

وباللَّيلِ يدعوني الهوى فأجِيبُ

لئن أصبحتْ ريحُ المودَّةِ بينَنا

شَمَالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ

فنجيب وحشية:

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا

وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

لم تكتمل قصة العاشقين ولم تنته.. ظلّا يسرقان اللقاء كلما استبد الشوق بقلبيهما العاشقين، ثم يخلدانِ إلى فراقٍ مريرٍ في انتظار لقاءٍ آخر مسروق.

حتى توفي يزيد في حربٍ قبَلَيَّةٍ، وطُويت تلك القصةُ الملحمةُ...

أعاشت وحشيةُ حياةً طبيعية بعد يزيد؟!

شخصيا أشك في ذلك!

فلا أعتقد أن "أحبُّكَ حبَّ اليأسِ..." تترك بعدها هامشا للعيش الطبيعي بعد رحيل الحبيب!

#المجد_للشاعرات

هند بنت الخُس الإيادية، الشاعرة الجاهلية التي ضُرب بها المثل في الحكمة، كانت العرب تضرب إليها أكباد الإبل لتأخذ رأيها في أمور دنياها، وكانت مشورتها نبراسا يستضاء به على امتداد شبه الجزيرة العربية.. وكانت إلى ذلك عاشقة متيَّمة.

يقال إنها عاشت قبل البعثة بحوالي ثلاثة قرون، ولها صولات وجولات في سوق عكاظ الأدبي.. وقد اعترف لها حكيم العرب وخطيبها الأشهر القَلَمَّس الكناني بالفصاحة والحكمة ورجاحة العقل، وذاك الاعتراف بمثابة "جائزة نوبل في الآداب" بمنطق هذا العصر.

قيل لهند: أيُّ الرجال أحبّ إليك؟!:

قالت: الذي يُسْألُ ولا يَسْأل، ويُضِيف ولا يُضاف، ويُصلِح ولا يُصلَحُ، ويوفد إليه ولا يَفِدُ.

وَشرُّ الرجال الثُّطيْطُ، النُّطيْطُ، الذي مَعهُ سُوَيط"

و الثُّطيْطُ يا سادة يا كرام عند العرب، هو الرجل الذي لا لحية له، و النُّطيْطُ هو الذي يتكلم كثيرا فيخطئ مرارا ويصيب مرة.

و"سويط" اصَّ مغدج عن نشرحها :)

وسُئلت كيف تريد زوجها فقالت:

"لا أريده أخا فلان، ولا ابن فُلان، ولا الظريف المتظرف، ولا السمين الألحم، ولكن أريده كسوباً إذا غدا، ضحوكاً إذا أتى".

ويقال إن رجلا استشارها في امرأة يتزوجها، فقالت:

"أطيب النساء التي إذا مَشَتْ أغْبَرتْ، وإذا نطقَتْ صَرْصرتْ، مُتَوَرِّكةٌ جارية، في بطنها جارية، تتبعها جَارية.

أي أنها تنصح بالمرأة المِئْنَاثِ... فيبدو أنه كانت لديها ميول "فيمينيستية" و آراء ثورية فيما يتعلق بالمرأة.

وقالت: أجمل النِساءِ الفَخْمَةُ الأسِيلة، وأقبح النساء الجهمة القَفِرَة،

وأبغضُ النساءِ العِنْفِصُ القَصِيرة، التي إن استنطقْتَها سكتَتْ، وإنْ سكَتَّ عنها نطقَتْ.

وهذا طبعًا رأيُ هند وليس رأيي و "للناس فيما يعشقون مذاهب".. مع كامل الاعتذار مسبقًا للقصيرات!

تتضارب الآراء في "الحالة الاجتماعية" لهند؛ يقولُ رأيٌ إن الرجال كانوا يحجمون عن مجرد مغازلتها أو التقدم لخطبتها، لفرط هيبتها وعقلها وحكمتها..

وهذا رأي "عجيب"، فلا أعتقد أن أعقل النساء يمكنها أن تكون بمنأى عن الحب... فـ"الهوى سلطان" على العقل والجوارح!

وهناك آراء أخرى "مختلفة"، لا أريد التطرق إليها الآن لأنها تفتح نقاشًا آخر متشعبًا.

شخصيا أميل إلى الرأي القاضي بأنها كانت عاشقةً "مَسْتُورةً"، أحبت بشكل خرافي، ولكنها لم تترك خلفها أثرا يجعلنا نتعرف على حبيبها، أو ندلف إلى "حياتها الشخصية"... ومع ذلك فإنني التقطتُ في سيرتها مؤشراتٍ على حبٍّ عظيم.

تصفُ حبيبها مثلاً في هذين البيتين فتقول:

أشَمٌّ كمثْلِ السيفِ، جَعْدٌ، مُرجلٌ

شغفتُ به لو كانَ شيئاً مُدانيا

وأقسِمُ لو خُيِّرتُ بينَ لقائه

وبين أبي.. لاخترتُ ألاَّ أبَا لِيَّا

لا يصدر هذا الانسلاخُ من الذات ومن الأصل والهوية في سبيل الحب إلا عن روحٍ أتلفها الغرامُ.. إنه لعمري مرقى متقدم في مراتب العشق.

وأختم بهذا البيت من قطعة شعرية لها:

وليس الفتى عندي بشيء أعدُّه

إذا كان ذا مالٍ.. من العقلِ مفلس

وهي محاججة منطقية.. امرأةٌ بعقل هند لن تحبَّ من لا عقل له..

هند بنت الخس الأنثى الأسطورية، التي جنح رواة الأدب إلى حكمتها، واحتكموا إلى عقلها، ونقلوا آراءها في الرجال والنساء وشؤون الحياة.. وأهملوا جزءً مهما من حياتها: هندًا العاشقة..

#المجد_للشاعرات

49

أحبت النُّوار بنت أعين ابن ضبعة المجاشعية رجلا قيسيا وأحبها، وتواعدا الزواجَ.

كانت النوار شاعرة جميلة ومتكلمة فصيحة.. توفي والدها وهو في صفِّ عليٍّ ابن أبي طالب كرم الله وجهه في حربه مع الخوارج.

أعطت وكالتها إلى الشاعر الفرزدق، وكان من بني عمومتها الأقرب، وأوكلت إليه أمر عقدها كي يزوجها لحبيبها.. و أشهدت على ذلك شهودًا..

فقال الفرزدق للشهود: أما وقد أصبح أمرها بيدي، فإني أنكحها نفسي وأشهدكم على ذلك.

طبعًا لم ترضَ النوارُ، فرفضت هذه "التفكّريشه" رفضاً باتًّا.. فأفتى بعض الفقهاء أنها زوجته شرعا ولا يجوز لها الرفض، ولكنها أصرت على رأيها؛ فاحتكم الاثنان إلى عبد الله بن الزبير وكان حينها يسيطر على الحجاز والعراق.. واتخذ كلاهما "وساطة" لاستمالة ابن الزبير إلى جانبه من آل بيته.

فتشفعت النوار بزوجته، خولة بنت منظور بن زبان الفزاري، وتشفَّع الفرزدق بابنه حمزة ابن عبد الله ابن الزبير... ويبدو أن شفاعة الزوجة كانت لها الكلمة العليا..

استُدعيَ الفرزدقُ وقال له ابن الزبير: ما حاجتك بها وقد كرهَتْكَ؟ اتركها واختر غيرها.. ولا تقربها و إلا ضربتُ عنقك.

أسَرَّ الفرزدق إلى خلصائه وسماره: "ما أمرني بتركها إلا لرغبته فيها".

وقال هذين البيتين المشهورين:

أمّا بَنُوه فلم تُقبلْ شفاعَتُهمُ

وشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ ابنِ زَبَّانَا

ليس الشفيعُ الذي يأتِيكَ مُؤتَزراً

مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُرْيَانَا

وأنا أوافق الفرزدق في ذلك الطرح: لا وساطة تعدلُ وساطة "بيت الركَاد"..

غضبَ عبد الله ابن الزبير على الفرزدق واستدعى النوار وقال لها إن شئتِ فرقت بينكما، و إن شئتِ أمرت بقتله، وإن شئتِ زوجتك إياه...

فيبدو أن النوار خافت على حياة ابن عمها من غضب ابن الزبير فآثرت أن تحميه بالزواج منه، فتزوجا.

لم تكن حياة الشاعرة والشاعر وردية، فقد كانا على خلاف وخصام دائمين، خصوصا فيما يتعلق بمعاقرته الخمرَ ونقائضه مع جرير..

فلأنها شاعرة وأديبة كان لها رأيها المستقل، فهي ترى جريرا أشعر، وذلك يغضب الفرزدق كثيرا، ثم إنها كانت ترفض استقباله عندما يكون سكرانًا؛

وهكذا...

تزوج عليها الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام، وأمهرها مائة من الإبل. فقالت له النوار : ويحك! تزوجتَ أعرابيةً دقيقةَ الساقينِ على مائة بعير!

"ألاَّ الحگْ" ماذا يضيره لو تزوج عليها امرأة بساقين جميلتين؟!

ولم تزل بهِ حتى انفصل الاثنان ومضى كل إلى غايته..

ولم نعرف ماذا حل بالنوار بعد ذلك، إذ اختفت عن الأحداث فترةً طويلة.. يقول لي حدسي (على شكل أمنيَّةٍ) إنها عادت للبحث عن الحبيب الأول، وأقاما مجددًا صرحَ الحُبِّ الذي هدَّهُ الفرزدقُ ذاتَ خيانةٍ لثقةٍ.

لكن ابن كثير يعود ليفاجئني في "البداية والنهاية"، إذ يورد في قصة وفاة النّوار حوارًا بين الفرزدق و الحسن البصري فيه حكمةٌ و شعرٌ جميل.. ويؤكد أنها رحلت وهي امرأة الفرزدق على سنة الله ورسوله.

#المجد_للشاعرات

50

أم حمادة الهمذانية، شاعرة من العصر الأموي لا نعرف عنها الكثير سوى أنها شاعرة مُجيدة، وسيدةٌ جميلةٌ و ذاتُ "عينٍ طويلةٍ" في الحب.

تقول عن نفسها:

دارَ الهوى بعبادِ الله كلِّهمُ

حتى إذا مرَّ بي من بينهم وقَفَا

وسأقفُ مع الهوى محاولاً أن أستشِفَّ شخصية هذه الروح التي استأثرت به لنفسها دون بقية البشر..

إننا أمام امرةٍ تعتبر نفسها سادنة بيت الحب المقدس، تقدم نفسها كآخر نبيات العشق في الجزيرة العربية، ولكنني ألمح خلف تلك الكاريزما ظلَّ امرأة عاشقة حد الهشاشة والذبول.

في هذه الأبيات أدناه تحدد لنا أم حمادة ملامحَ و "بروفايل" الشخص الذي يمكنه الحصول على إقامة مشروعة في "مجتمع الحب":

شكوتَ إليَّ الحبَّ قلتُ كذَبْتَني

ألستُ أرى الأعضاءَ منكَ كَواسِيًا؟

رويدك حتى يبتلي الشوقُ والهوى

عظامَكَ.. حتى يرتجِفْنَ بوادِيًا

ويأخذَكَ الوسواسُ من لوعةِ الهوى

وتخرسَ حتى لا تجيب المُناديًا

وفي نظري أنها هنا إنما تقدم "سيلفي" لذاتها من الداخل... أو ربما صورة بالأشعة السنية!

قصةٌ هذه الأبيات تُروى بصيغة مزدوجة:

بصيغة المتكلم، على أنها ذاتية تتعلق بالشاعرة نفسها (وذلك ما أرجِّحُه شخصيا)؛

وبصيغة الغائب، على اعتبارها ترجمة لحالةِ عاشقين يحملانِ "هُويَّة حبٍّ مزيَّفة" التقتهما وضبطتهما متلبسين بتزوير العواطف فقسَتْ عليهما...

ومهما يكن، فإن الدكتورة أم حمادة، عميدة كلية الحب تفرضُ مُعدَّلًا مرتفعًا لقبولِ العاشقين.. معدلًا لا أعتقد أن من بيننا من يستطيع الوصول إليه.

فكرتُ في السيد الفاضلِ أبي حمادة "مسكين"، هل حلَّتْ به كل هذه الكوارث حتى استحقَّ التغلغلَ في قلب شاعرتنا؟

أم أن أم حمادة هي التي نحُلَ جسمها وشفَّ عظمُها.. وكانت تُكلِّم الناس رمزاً، بعد أن فقدت ملكة النطق؟

أو ربما حمادة نفسه مجرد فكرة لم تَرَ النور يوماً؟؟

أوردتْ كتبُ التراث الأدبي فقط قصيدتين (إحداهما مُتنازَع عليها) لهذه الشاعرة، التي لم تترك أثرًا على أيٍّ من حساباتها على وسائط التواصل الاجتماعي، يقودنا إلى معرفتها أكثر، إلا كنيةً ورسماً بيانيًا لمنحنى العاشق الحق.. وكنزا خالدًا من "المجاز" الزلال.

#المجد_للشاعرات

51

عَريب المأمونية شاعرةٌ ومغنية وعاشقة ومعشوقة.. تقول أغلبُ الروايات إنها ابنةُ جعفرٍ ابنِ يحيى البرمكي، وعندما دالَ مجدُ البرامكة سُرقت وبِيعت وهي صغيرة، وظلت تتعاطاها دروبُ الحياة حتى دخلت قصرَ وقلبَ المأمون ابنِ هارون الرشيد.

يقول عنها إسحاق الموصلي: "ما رأيت امرأة قط، أحسن وجهاً وأدباً وغناء وشعراً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب! وما تشتهي أن تجد خصلة، حسنة، ظريفة، بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها!.

ذ بعد امالو ما عاگبو شي؟!

أحبها المأمونُ حبًا عظيمًا، يقال إنه في حضرتها ينسى وقارَهُ ويترك العنان للعاشق الذي داخله، حتى إنه نزل عن عرشه مرةً وهو في جمع من وزرائه ورجال بلاطه وقبَّلَ قدميْ عريب.. وكانت عريبُ تحبه بجنون هي الأخرى، حتى إنها تسمت باسمه.

تقول فيه وقد هجرها مرةً:

أينَ الزّمانُ الذي قد كنتُ ناعمةً

في ظلّه بدنوّي منكَ يا سَنَدي

وَأسأل اللّه يَوماً منكَ يُفرِحُني

فَقَد كحلتُ جفونَ العينِ بالسهد

بعد وفاة المأمون بقيت في القصر مغنيَّة البلاط الأولى؛ وقد أغرم بها كل الخلفاء العباسيين من المعتصم إلى أبي العباس المعتمد مرورًا بالواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي

بالله.. ولكنها لم تشاطر أيا منهم ذلك الحب.. ظلت تقوم بواجباتها "المِهنيَّة" فقط ولكنَّ قلبَها في مكانٍ آخر.

بعد المأمون أحبت رجلاً من عامة الشعب، اسمه محمد ابن حماد، ولها معه حكايات وقصص وشعر، و يُخيَّلُ إليّ أنها كانت تحبه أكثر مما يحبها، ولم يطل بهما الأمرُ حتى انفصلا.

وأحبت لاحقاً صالحًا المُنذِريَّ، وكان أحد الخدم في القصر، بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتزوجته سرًّا، إذ لا يمكنها المجاهرة بهذا الزواج خوفا على رَقَبتها..

ذات يومٍ أرسله الخليفة في مهمة وطال غيابُهُ و اشتياقُها فقالت:

أما الحبيبُ فقدْ مَضَى

بالرغم مني لا الرِّضا

أخطأتُ في تركي لمنْ

لم ألقَ منه عوَضَا

لبعده عن ناظري

صرتُ بعيشي عرَضَا

وغنت ذلك في حضرة المتوكل وهي في قمة الطرب، فكانت جواري القصر يتغامزن ويتعجبن من جرأتها.. وفطن المتوكل لغمزاتهن وكاد يفهم الموضوع، ولكنَّ الله ستر.. و إلا كانَ مشوارُ عريب الفني والحياتيِّ ليتوقفَ إلى الأبد.

عريب أسطورة العصر العباسي جمالًا، ونجمةٌ التأليف والتلحين والعزف والغناء، يقالُ إنها تركت خلفها ألف أغنية وثلاثين عاشقًا.. وعُمرت زهاء مائة عام.

#المجد_للشاعرات

52

شاعرةٌ يهوديةٌ أندلسيةٌ أديبةٌ وجميلة، عاشتْ بغرناطة في القرن الخامس الهجري، ولم تكن موفقة في حياتها العاطفية.

ولدت قسمونة لأبٍ شاعر وأديبٍ وداهية من "دواهي" الأندلس، هو الوزير صامويل أو إسماعيل ابن النغريلة (أو نغرالة)، فنبغت في قرض الشعر باكراً، حتى بزَّت والدها، الذي اعترفَ لها بالأسبقية في نظم الموشحات، وهي بعدُ مراهقة.

على جمالها وأدبها و "اثْنَسويها" لم تجدْ قسمونة حبيباً! لم تكن ترغب في بني دينها و جلدتها اليهود، لا في حديثهم ولا مجالسهم، مما ولد لديهم نفورا منها..

وفي المقابل لم تستطع التغلغلَ في عمق الثقافة العربية الصنهاجية الإسلامية بالأندلس، إلى درجة "تأمينِ" حبيب وزوج مستقبلي..

فعاشت أزمةَ هويةٍ ثقافيةٍ وعِشقِيَّةٍ!

تقول وهي تتفرجُ على نفسها في المرآة، وتتفحصُ مكامنَ الجمال الذي حباها الله به:

أرى روضةً قد حانَ منها قطافُها

وليسَ يُرَى جانٍ يمدُّ لها يَدا

فوا أسفي يمضي الشبابُ مضيَّعاً

ويبقى الذي ما إن أسميه مُفردا

كأني بالمرآة تقول لها "سَحْوَةً" :

"ما إن أسميه"! وهل تريدينَ يا شاعرتي الجميلة أن تسميهِ أكثر من هذا؟ :)

لاحقا أصبح إسماعيل بدهائه وحنكته وزيرا لباديس ابنِ حبوس في غرناطة؛ يقول في ذلك الشاعر أبو إسحاق الألبيري من نونِيَّته الشهيرة:

ألاَ قلْ لصنهاجةٍ أجمعينْ
بدورِ النديِّ وأسْدَ العرينْ
لقد زلَّ سيِّدكُم زلّةً
تقرُّ بها أعينُ الشامتينْ
تخيَّرَ كاتبَه كافرًا
ولو شاءَ كان من المُسلمين
فعزَّ اليهودُ به وانتخوا
وتاهوا.. وكانوا من الأرذلينْ

ثم توفي أبوها إسماعيل وخلفه في الوزارة أخوها يوسف الذي عاث فسادا .. فثار عليه الغرناطيون، وشنقوه وصلبوه على بوابة المدينة..

وظلت قسمونة بعيدةً عن الأحداثِ، مندمجةً في حياة المسلمين.. كواحدة منهم ثقافةً، دون أن تغيِّرَ دينها.

ليست هناك تفاصيل كافية عن ما آلت إليه أحوالُ قسمونة، ولكنَّ كُتبَ التراث الأدبي الأندلسي التقطتْ لها هذا البوح تخاطبُ ظبية في حديقة أندلسية:

يا ظبيةً ترعى بروضٍ دائماً

إنّي كمِثلِكِ في التوحّشِ والحَوَرْ

أمسى كِلانا مُفرداً عن صاحبٍ

فَلنصطبرْ أبداً على حكمَ القَدَرْ

فاستنتجتُ أنها ربما عاشت حياتها كلَّها و "الذي ما إن تُسمِّيه" ما زالَ مفردا..

رغم أنني أتمنى أن تكون قد وجدتْ إلفاً تشاطرُه الحبَّ والشعرَ، وتعبرُ معه ضِيقَ المفردِ إلى رَحابةِ المُثنَّى!

#المجد_للشاعرات

53

حميدة بنت النعمان إحدى "شبيبات" دمشق أيام العز، كانت تجمع بين الجمال والشعر و "المشي عل الغرظ".. تزوجت ثلاث مرات، وفي كل مرة كانت تنسحب بعد أن تهجو زوجها...

وفي الزيجة الرابعةِ كان لها الحبُّ بالمرصاد، فطاب لها المقام.

أبوها النعمان ابن بشير ابن سعيد ابن ثعلبة، أول مولود من الأنصار بعد الهجرة النبوية الشريفة، وكان واليَ الأمويين على حمص، ولكنه بايعَ ابنَ الزبير عن قناعةٍ.. فقتلوه!

زوجها الأول هو المهاجر ابن عبد الله ابن خالد ابن الوليد،، يقال إنه أحبها بجنون، ولكنها لم تصبر عليه، فهجته وطلبت الطلاق..

وطلقها..

تزوجت بعده الشاعر الحارث بن خالد المخزومي وهو حينها كهلٌ "طايب"، عندما قدم من المدنية المنورة إلى دمشق قبل أن يعينه يزيد واليًا على مكة؛ كرهته سريعاً وطلبت الطلاق وقالت :

نكحتُ المَدِينِيَّ إذ جاءني

فيا لكِ من نكحةٍ غاويَّه

كُهولُ دمشقَ وشبانُها

أحبُّ إليَّ من الجاليَّه

ترى زوجة الشيخ مغمومةً

وتُمسي لصحبته قاليَّه

وطلقها...

ثم تزوجت "قائد أركان الشرطة" في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان، رَوْح بن زنباع بن سلامة الجذامي.. وسريعا زارتها "سعادُ تلعبُ بدميتها".

يقال إنه كان في اجتماع بوفد من بني عمه (جذام) وكانت حميدة تكثر المرور في باحة المنزل، ولَم تحتجبْ، فوقف إليها ونهرها غيرةً،

فقالت له: "والله إني لأبغض الحلال من جذام فكيف تخاف علي الحرام منهم؟!"

وبعد فترة قصيرة ملت عشرتَه ولم تستطع الصبر أكثر، وطلبت الطلاق ثم أنشدت:

سُميتَ روحاً وأنتَ الغمُّ لو عَلموا

لا روَّحَ الله عن روحِ ابنِ زنباع

و

طلقها...

ثم تزوجها الفيضُ ابنُ الحكم ابن أبي عقيل الثقفي وكان شابًا وسيمًا وثريا و "دلُوعا" فوقعت في حبه، وقضت معه ما تبقى من حياتها "وعاشوا في تبات ونبات، وخلفوا صبيان وبنات"!

ورغم أنها كانت تهجوه بين الفينة والأخرى،
مثل قولها:

ألا يا فيض كنتُ أراك فيضاً
فلا فيضاً وجدتُ ولا فراتا

إلا أنها كانت غارقةً حتى أذنيها في حبه.. ولم تكن تطيقُ البعد عنه.

أهم ما في الأمر أن حميدة أحبَّت أخيرا، وحسُنَ حبُّها، وبالتالي غُفِرَ لها ما تقدم من هجاءِ الأزواج، وما تأخر من مناوشات حبيبها فيض.

#المجد_للشاعرات

54

الرباب بنت امرئ القيس ابن عدي الكلبية، شاعرةٌ توصف بالجمالِ والحكمة والعقل والصبر والوفاء، زوجة شهيد كربلاء، الحسين ابن علي، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أسلم أبوها امرؤ القيس في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فولاه على كل من أسلم من قضاعة بالشام؛ وفِي ذات اليوم زوج بناته الثلاث إلى آل البيت:

الكبرى محياة لعلي كرم الله وجهه، وسلمى للحسن و الرباب للحسين...

أحب سيدنا الحسين زوجته الرباب وأحبته أيما حب، وأنجبت له عبد الله الذي استشهد بكربلاء وهو رضيع، و سكينة الجميلة، الشاعرة والناقدة..

يقول الحسين:

لعمركَ إنني لأحبُّ دارًا

تحلُّ بها سُكينة والربابُ

أحبهما وأبذلُ جلَّ مالي

وليس لعاذِلِ عندي عتابُ

ولستُ لهم وإن عتبوا مطيعًا

حياتي أو يغيبني التراب

في الأحداث المأساوية التي شهدتها كربلاء في تلك الجمعة الأليمة، العاشر محرم سنة 61 هجرية..
استشهد سيدنا الحسين وكانت الرباب إلى جانبه؛ كما كانت إلى جانبه في كل المواقف التي شهدها قبل ذلك في الحرب والسلم، في الشدة والرخاء..

يقال إنها عاشت بعده عاما واحدًا أقسمت ألا يُظِلها سقفٌ حزنا على زوجها وحبيبها الفقيد، ورفضت عشراتِ الذين تقدموا للزواج بها؛
وقالت:
"لا والله ما كنت لأتخذَ حَمْوًا بعدَ رسول الله"..
وهذا هو أحسنُ "آمسگري" سمعتُه في حياتي!

بكت كثيراً وندبت كثيراً وكتبتْ شعرا رثائيا ثرًّا قبل أن يختارها الله إلى جواره..

#المجد_للشاعرات

55

أم حكيم بنت يحيى ابن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية، شاعرة مجيدة وذاتُ جمال ومالٍ وأدبٍ.. وذات كأس كذلك.

تزوجها ابن عمها القائدُ العسكريُّ الباسلُ، عبدُ العزيز ابن الوليد ابن عبد الملك؛ ثم تزوج عليها ميمونة بنت عبد الرحمن ابن عبد الله، حفيدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه...

اختلفت الزوجتان في شؤون "الشَّراكَةِ" فانحاز عبد العزيز إلى ميمونة، وإرضاءً لها طلَّقَ شاعرتَنا.

فأسرَّتْها أمُّ حكيمٍ في نفسها ولَم تُبْدِها!

لاحقاً تزوجها عمُّ زوجها السابق، هشامُ ابن عبد الملك ابن مروان، وعندما تولى الخلافة تزوج ميمونة أيضا، فجمع بين طليقة ابن أخيه عبد العزيز وأرملته معا!

ومرةً أخرى اختلفتا.. وهذه المرة طُلِّقت ميمونة إرضاءً لأم حكيم!

وربما تكون الحكايةُ كلها تخطيطاً من أم حكيم.. لتحصدَ نقطة التعادلِ في مباراة الإيابِ من بطولة الأنوثة وصراع الجميلات..

كانت رحمها الله من أوائل النساء اللائي عُرِفتْ عنهنَّ صداقةُ "ابنةِ الكرْم"، رغم أن ذلك كان شائعا إلى حدٍّ ما على مستوى رجال القصر، بل إنه سيصبح سِمةً من سماتِ الدولة العباسية اللاحقة... إلا أن أم حكيم كانت من أوائل من جاهرنَ.

من شعرها الخمريِّ:

ألا فاسقياني من شرابِكُما الوردي
وإن كنتُ قد أنْفَدْتُ فاستَرْهِنا بُرْدِي
سِواري ودُمْلوجِي وما ملكتْ يَدِي
مباحٌ لكم نهبٌ، فلا تقطعوا وِرْدِي

لأم حكيمٍ سوقٌ على اسمها موجودٌ حتى الآن قرب باب الفراديس بدمشق القديمة؛ و قصرُها الذي كان صادحا بالموسيقى والطرب والنبيذ وقصائد الشعر ما زال يحمل اسمها إلى الآن في منطقة مرج الصفر بضواحي دمشق.

#المجد_للشاعرات

56

عفراء بنت الأحمر الخزاعية، لا نعرف عنها الكثير، سوى أنها كانت شاعرةً جاهليةً عاشقةً، وأنها رحلت عن دنيانا إثر وعكةِ حبٍّ ألمَّت بها.

أحبت عفراءُ ابن عمها الشاعر الحارث بن الشريد، المعروف بابن الفرند الخزاعي وأحبها، ولكن سكان تلك المساحة من أرض الله كانوا لا يسمحون ـ سامحهم الله ـ بزواج أي كائنين شاع عنهما الحب؛ إنها تقاليدهم الراسخة والتي لا تقبل الجدل ولا النقاش.

فرقوا بين الجسدين، و لم يعرفوا كيف يقطعون حبل الوصال بين القلبين والروحيين والإحساسين.

واصلوا الفصل التعسفي بين الحبيبين وواصل الحب نموه كأن شيئًا لم يحدث.

مرض الحارثُ مرضا عظيما، "حمة لَسْقامْ" غالبا، و لزم الفراش مدة، كان الجميع يزوره في مرضه، ولا أحد يصدق أن الحب هو الذي أمرضه ، و ألا شفاء له سوى باجتماعه مع نصفه....

يئس الأطباء من علاجه وانسحبوا!

في مرضه عاده الكل إلا الشخص الوحيد الذي يحتاجه، فتحامل على نفسه، وهرَّبَ إليها "مكتوبًا" مع ثقةٍ:

صبرتُ على كتمانِ حبكِ بُرهةً

وبي منكِ في الأحشاءِ أصدق شاهد

هو الموتُ إن لم تأتِنِي منكِ رُقْعَةٌ

تقومُ لقلبي في مقامِ العَوائِدِ

وصلت الرسالة، وردَّتْ عفراء:

كُفِيتَ الذي تخْشَى وصرتَ إلى المُنى

ونلتَ الذي تهوى برغمِ الحَواسِدِ

و والله لولا أنْ يُقالَ تَظَنُّنًا

بيَ السوء ما جانبتُ فعلَ العوائدِ

استنشق الحارث رائحة عفراء في الرَّقِّ الذي بين يديه، وقرأ ما خطت أناملها، وانتعش كأنه استرد روحاً كانت غائبة...

وكان ذلك انتعاشُ ما قبل الرحيل!

فارق الرجل الحياة وأنكر "الطبيبُ الشرعيُّ" أن الحب هو سبب الوفاة؛ لحقت به عفراءُ سريعا.. بعد أسبوع قضته وهي تبشِّرُ بنهايةٍ وشيكةٍ وأنها لن تعيش حياةً بلا حارث..

وسُجِّلت الجريمةُ ضد مجتمع كامل، وطويت تلك الصفحة العِشقِيَّةُ في انتظار ضحيتين جديدتين.

#المجد_للشاعرات

57

النوار بنت مالك، شاعرةٌ مخضرمةٌ وُلِدت في الجاهلية وأسلمتْ لاحقا، عُرفت بالعقل والحكمة وبعد النظر.

يقال إن أباها هو مالك بن نويرة، فارس بني تميم، الذي أسلم فولاه النبي صلى الله عليه وسلم على قومه، و عندما تولى أبو بكر الصديق خلافة المسلمين، رفض أن يدفع الزكاة...

وقتله خالدٌ ابن الوليد في ما عُرف تاريخيا بـ"حروب الردة".

ويقال أيضًا إنها عاشت قبل ذلك بحوالي قرن، وأنها شقيقة الشاعر سعد بن مالك، شاعرِ البكريين وفارسهم أثناء حرب البسوس، وجدِّ المرقشين الأكبر والأصغر و طرفة بن العبد.. وأن اسمها الحقيقي مناة وتُلقَّبُ بالنوار.. كما في كتاب "طبقات فحول الشعراء".

والرواية الأولى بالنسبة لي أقرب للمنطق.

تزوجت النوار من ابن عمها وكان رجلا "أزْركًا"، يوصف بالحمق والغباء اسمه مالكٌ ابن زيد؛ ولكنه على حماقته تلك كان من آبَلِ الناس، (أي أكثرهم حنكةً وحذاقةً في رعاية الإبل والتعاملِ معها)، وهو معروفٌ بهذه الحِرفةِ، يُفتِي فيها ولا يكادُ يُبين فيما سواها.

في "صبَاحِيَّةِ" العروسين كان مالك سعيداً بعروسهِ ومع ذلك فكرَّ أن يباكِرَ عمَله المعتادَ، ولكنَّ النوار رأت في ذلك خِفَّةً، فطلبت منه المكوثَ إلى جانبها وترْكَ إخوتِه يتصرفون.. فمكثَ!

وعندما لم يخرج مالك من "بَنْيَتِهِ" وجد أخوه سعدٌ نفسه مجبرا على أن يسقي الإبلَ ويهتم بها حتى يُنهيَ العريسُ أيامَ عسلِه ويعود إلى مهمته.

نزل سعد إلى "العمل" بكسائه وكامل أناقته، ولم يفلح في أداء المهمة البسيطة، تفرقت عليه الإبل وهاجت وماجت، وكان يوما عصيباً عاد منه بمزاج سيء، وغضبَ على أخيه مالكًا وعاتبه وأنشد في ذلك شعرا.

قالت النوار لحبيبها "الأهبل": أجبه!

قال: وكيف أجيب يا نوار؟

قالت قل له:

أوردَها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلْ

ما هكذا يا سعدُ توردُ الإبِلْ

فردد خلفها ذلك بصوت مرتفع، فبُهِتَ الجميع، لا أحد يتوقع من مالكٍ جواباً موزونًا وعاقلًا..

وذهب البيت ـ خصوصا شطره الأخير ـ مثلاً شائعا يُضْرب لكل من لا يتقن عملًا أوكل إليه، أو لا يأخذ أسباب النجاح لمهمة ما!

مالك الذي لا عقل له، بدأت تصرفاته لاحقا تكون أكثر نضجًا، فقد حباهُ الله بعقلٍ على شكل أنثى جميلة وشاعرة وأديبة و "حاذگه"، أحبته وأحبت العيشَ معه، فكانا حبيبينِ متكاملينِ.

#المجد_للشاعرات

نقفُ اليوم مع تماضر بنت عمرو السلمية المعروفة بالخنساء، وقصةِ حبِّها التي نُسيت بعد أن غطت عليها رثائيات صخرٍ.

الشاعرةُ الجميلةُ الفصيحةُ المعروفةُ برجاحةِ العقلِ، عندما وُضِعت أمامَ تحدي الحب فشلت، واختارت الحبيبَ الخطأ، ودفعت لقاءَ ذلك ثمنًا باهظًا.

في بداية نضجها الأنثويِّ، خطبها دريد بن الصِّمة، ودريد فارس هوازن، وبني غزيَّة تحديدا، خاضَ مائة معركةٍ انتصرَ فيها كلها، شاعرٌ وحكيمٌ وزعيمٌ قبليٌّ.. بالمختصر المفيد دريد، في منطق ذلك العصر كان "عريس لُقطَه"، ومع ذلك وقفت الشابة الجميلةُ لتقولَ لأبيها بلسانٍ فصيحٍ إنها لا تريده.. فكان لها ما أرادت.

وانسجامًا مع رغباتِ قلبها تزوجت شابا وسيمًا ولكنه مقامر، اسمه عبد العزى بن عبد الله بن رواحة، أحبته كثيرًا، رغم شخصيته المهزوزة، ورغم تبذيره لمالها وإفنائه على نزواته الشخصية ظلت متمسكة به.. وكل ما "طاحَتْ يَدُهُ" يهددها بالطلاق والسفر بعيدًا، فتقول له: ابقَ رجاءً، وسأسأل صخرًا بعضَ ماله..

وفي كل مرة تزورُ أخاها صخرًا وتشكو له ضيقَ الحال، يقسِّمُ كل ممتلكاته نصفين يعطيها النصف ويترك الباقي؛ وبعد عامٍ أو اثنين يُتلف عبدُ العزى مالها، فتعود إلى صخر مرة أخرى، فيقسم ماله نصفين ويعطيها النصفَ.

أربع مرات وهي تأتي وصخر يشاطرها ماله مبتسما، لذلك أحبته حبا مضاعفًا وبكته كثيرا، رغم أن الشقيقة لا تحتاج سببًا لتحبَّ أخاها، ولكن المعروفَ يترك أثرا.

استغل عبد العزى خُناسًا أسوأ استغلالٍ، وانتهز حبها له ليتصرَّف معها بـ"قلة أصل"، واستمر هكذا حتى انتشلت نفسها أخيرا من هذا الضياع، الذي دام سنين وأنهكها نفسيا وبدنيا.. كما أسرَّت لأمِّنا عائشة رضي الله عنها، وهي في آخر عمرها تحكي عن ذكرياتها الأليمة مع عبد العزى الرجل الذي اجتمع لها فيه الحب والضياع.

بعد هذه التجربة المرة تزوجها مرداس بن أبي عامر السلمي، الملقب بالفيض لفرط سخائه وكرمه.. كان نعم الرجل ونعم الزوج، ورغم ذلك لم تعش معه الخنساء ذلك الشغف، خصوصا أنها آنئذٍ بدأت تعاني من "متلازمة الحزن على صخر" التي استمرت معها حتى بعد إسلامها.

توفي مرداس واكتشفت الخنساء فجأة أنه ترك فجوة في حياتها، ورثته بقصيدة رائعة، أراها أفضل حتى من مرثياتها لصخر ومعاوية وأبيها.

ببساطة؛ إن أعظم شاعرة أنثى في تاريخ الشعر العربي، وإحدى أكثر نساء الجزيرة العربية ذكاءً ورجاحة عقل وفصاحةً و أقواهن شخصيةً سقطت في اختبار "الذكاء العاطفي".

#المجد_للشاعرات

59

أم حكيم الخارجية، شاعرة جميلة ومختلفة، وصفها الأصفهانيُّ في أغانيه بأنها (كانت من أجمل الناس وجها وأشجعهم وأحسنهم بدينها تمسكا).

ويبدو أنها منذ بداية نضجها على مساريْ الأنوثة والعقل لم تكن تريد "زواجا تقليديًا"، تقول:

ألا إنَّ وَجهاً حَسَّنَ اللَهُ خَلقَهُ

لَأَجدَرُ أَن يُلفى بِهِ الحُسنُ جامِعا

وَأُكرِمُ هذا الجِرمَ عَن أَن يَنالَهُ

تَوَرُّكُ فَحلٍ هَمُّهُ أَن يُجامِعا

إنها لا تريد لجسدها فحلاً يراها فقط "آلةً للجنس"، بل تريد حبيبا استثنائيا ورجلا مختلفًا خارجًا على المألوف... لذلك ظلت تزيح الخُطَّاب والمتغزلين وترمي أحلامهم في بئر الرفض، حتى التقت فارسَ أحلامها: قطري بن الفجاءة.

قطري بن الفجاءة شاعرُ الخوارج (الأزارقة تحديدا) وفارسهم الأول، يقال إنه (كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة).

و أعتقد أنه لولا "السياسة" لكان أشعر العرب قاطبة (وهذا رأيٌ شخصي جدا).

حفظتُ له قبل أن أدخل المدرسة قطعتَهُ الشعرية المشهورة:

أقولُ لها وقد طارتْ شَعاعًا

من الأبطالِ: ويحكِ لن تُراعي

اجتمع الحبيبان في سوح الحربِ وغرقا معا في الحبِّ والنضال:

يقول فيها:

إذا قلتُ تسلو النفسُ أو تنتهى المنى

أبى القلبُ إلا حبَّ أم حكيمِ

منعمةٌ صفراءُ حلوٌ دلالها

أبيت بها بعد الهدوِّ أهيمُ

قَطوفُ الخطى محطوطةٌ المتن زانها

مع الحسنِ خُلْقٌ فى الجمالِ عميم

أم حكيم الخارجية وقطري بن الفجاءة لم يكونا مجرد حبيبين وزوجين، كانا رفيقيْ حبٍّ وحربٍ وسلاحٍ وكفاح؛

كان أشجعَ الخوارج، وكانت من بين النساء القلائل اللاتي حملن السلاح وكتبن شعر الحماسة..

إنهما رفيقا إيمانٍ بقضية محورية، بغض النظر عن رأينا في تلك القضية حاليا، أو موقفنا من تلك الحرب، إلا أن الاثنين غلّفا علاقة الحب المقدسة بجدار سميك من الانتماء إلى فكرة.

وما أجملَ الحب وأعظمه حينما يلقي رأسه على كَتِفِ فكرة!

توفي قطري رحمه الله وهو يدافعُ عن قضيته، وبقيت أم حكيم وفيةً لذاتِ القضية، ووفية لذكرى حبيبها، لم تتزوج ولم تتركْ بابها مواربا لاحتمالِ رجلٍ... حتى التحقت به وطويت صفحة ذلك الحب العظيم.

#المجد_للشاعرات

60

ظريفة بنت صفوان بن واثلة، شاعرةٌ طاغيةُ الجمالِ من بني عذرة، أحبَّها الشاعرُ زرعة (وقيل ذرعة) بن خالد العذري وأحبته حتى الموت عشقًا.

التقى الحبيبان ذاتَ ضُحًى على غدير ماءٍ.. تقول الحكاية إن زرعة كان "يمرُّ مرَّ الرياضة" على جواده ليصطادَ ما تجود به البرية، وكانت هناك فتيات يسبحنَ ويتشاكسنَ في الغدير، حاول أن يتجاوز ويغضَّ البصر كأي جانْتِلمانٍ وَرِعٍ، ولكنَّ المشكلة لم تكن داخل الغدير، بل كانت خارجه..

على ربوةٍ خارج "التَّامُورَتْ" كانت تجلسُ ظريفةٌ تمشط شعرها الأسود الطويل، الذي يكاد ـ لفرط طوله ـ يغطي جسدها كاملا... فوقف مشدوها، وأطال النظرةَ "التي له"، ثم سقطَ مغشيا عليه، وحينما فتح عينيه كانت ظريفة ترشُّ عليه الماء وتتساءلُ عما به.

فقال:

خرجتُ أصيدُ الوحشَ صادفتُ قانصًا

من الريم صادتني سريعاً حبائلُه

فلما رماني بالنبالِ مسارعا

رقاني.. وهل ميْتٌ يُداويه قاتِلُه

تُبودِلت النظراتُ. فتلبَّدَت العيون الأربع بأنواءٍ ما، منذِرَةً بعاصفةٍ عِشْقِيَّةٍ، وطوفانٍ من الحب.

وقع صاحبنا في الحب ولم يستطع كتمان ما به، رغم محاولته ذلك، لأنه يدرك أن العذريين لا يسمحون بزواج العشاق، ولكنَّ

كتم الحب ليس أمرًا هينًا.. فيبدو أن من بين "لمْسَوْلَفَاتْ" اللاتي حضرن واقعة الغدير من سرَّبت الموضوعَ حتى وصل إلى كهول القبيلة، فقُضي الأمرُ.. وحُرِّما على بعضهما.

حينئذٍ أصبح زرعة أكثر جرأة، فلم يعد لديه ما يخسره.. صار يداوم مختبئا قربَ خيام حبيبته يتحين الفرصة ليُسارِقَها النظرَ، ويتبادلان بعض الكلمات العابرة، ثم إنها تأكيدًا للمشاعر المتبادلة قصت له خصلات من شعرها كتذكار على حب لا يمكنه أن يكتمل.

شيئاً فشيئا بدأت مواعيد العاشقين المحرومين تلفت الانتباه، فثارت ثائرة أهلها وقرروا قتل زرعة.. ففر إلى اليمن لا زاد معه سوى خصلات من شعر محبوبته، وقلبًا مُثخنًا بالجراح والحب.

لم يستطع المكوثَ طويلًا في اليمن، فعاد متخفيا إلى مضارب القوم، ثم هرَّبَ رسالة شعرية إلى حبيبته يطلبُ اللقاء.

فردتْ طريفة قائلةً:

رعى الله من هامَ الفؤادُ بحبِّهِ
ومن كدتُ من شوقي إليه أطيرُ
لئن كثرتْ بالقلبِ أتراحُ لوعةٍ
فإن الوشاةَ الحاضرينَ كثيرُ
فإن لم أزر بالجسم رهبة عاذلٍ
فذا القلبُ آتٍ نحوكم.. فيزورُ

لم يكن اللقاء ممكنا هذه المرة، شُدِّدت الحراسةُ على ظريفة، وأُجبر زرعةُ على البقاء في بيته، وعدم الخروج لأي سبب، وإلا عرَّض نفسه للهلاك.....

سجنانِ وحصارٌ إذن!

وفِي الأخير زُفَّت ظريفة إلى رجل من بني عمومتها يدعى ثعلب أو ثعلبة، وفي ليلة زفافها، تفقدت أم زرعة ولدها لمواساته فألفتْه ميتًا لا حراك له...

وعندما وصل الخبر إلى ظريفة، أقسمت ألا تُمكِّنَ ثعلبة من نفسها مهما كلف الثمن؛ وبعد أيام من صراع الرجل من أجل استيفاء حقه الشرعي"، خرجتْ ظريفةٌ بعد أن جن الليل وألقت بنفسها في مجرى سيلٍ، ولما افتقدها زوجها ذهب في طلبها وحاول إنقاذها من الغرق، ولكن بعد فوات الأوان، كانت روحها قد فاضت.

بنو عذرة القبيلة التي أنجبت أكبر "كَمٍّ" من العشاق في شبه الجزيرة العربية، هي ذاتها التي قتلت أعرافُها أكبرَ عدد من العشاق بجَرَّةِ تقاليد..

بين ضُحَى الغديرِ الراكدِ الذي أشعلَ فتيلَ الحب، وليْلِ السَّيْلِ الجارفِ الذي كتمَ آخر نَفَسٍ... ضاعتْ حياةُ ظريفة!

#المجد_للشاعرات

61

هزيلة شاعرةٌ قديمةٌ جدا، من أقدم من سُجل له شعرٌ موزونٌ على البحور التي نعرفها.. عاشت في الجزيرة العربية قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرون.. تنتمي لقبيلة جديس. نسبةً إلى رجل صالح يقال إنه الحفيد الرابع لنوح عليه السلام.

وجديس كانت إحدى قبيلتين عربتين تستوطنان شبه الجزيرة العربية تحديدا منطقة اليمامة، القبيلة الأخرى هي طسم التي ينتمي إليها ملك ذلك الزمن عمليق (أو عملوق في روايةٍ)، يقال إنه كان ملكًا ظالمًا وطاغية وكان يُذيقُ جديسًا مرَّ العذاب، ويعتبرهم "مواطنين" من الدرجة صفر.

أحبت هزيلة رجلًا من قومها وأحبها وتزوجا، وأنجبا ولدا، ثم كان أن اختلفا فانفصلا، وأراد الزوج أن يأخذ إليه ولده فرفضت أمه التخلي عن ابنها، فاحتكما إلى الملك عمليقٍ.

في مرافعتها أمام الملك قالت هزيلة:

"أيها الملك، حمَلتُه تسعًا، ووضعته دفعًا، وأرضعته شفعًا، حتى إذا تمت أوصاله، ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرهًا، ويتركني بعده ورهًا"

فقال زوجها:

"أيها الملك، أعطيت مهرها كاملًا، ولم أصب منها طائلًا إلا وليدًا خاملًا؛ فافعل ما أنت فاعل"

وكان حكمُ الملك الغريبِ غريبًا إذ أمر بالفتى فضُمَّ إلى خدام قصره، وأمر أن تُباع هزيلة فيُعطى زوجُها خُمس ثمنها، ثم يباع الزوج وتعطى هي عُشرَ ثمنه، وباقي المال يضاف إلى "خزينة الدولة".

رُفعت الجلسة!

قالت هزيلة في ذلك:

أتينا أخا طَسْمٍ ليحكمَ بيننا
فأنفذَ حكمًا في هُزيلة ظالمَا
لعمري لقد حكمتَ لا مُتورِّعًا
ولا كنتَ فيمن يُبرم الحكمَ عالمَا
ندمتُ ولم أندم وأني بعِثْرتي
وأصبحَ بَعْلي في الحكومةِ نادمَا

وصلتْ الأبيات إلى عمليق، فقرر أن يعاقبَ نساءَ جديس جميعَهن، وأصدرَ قراراً مَلكيا أن كل بِكْرٍ جديسيَّةٍ تزوجت، يجبُ عليها أن تمرَّ بقصر الملك ليَفضَّ بكارتَها قبلَ أن تلتحقَ ببيت زوجها.. وكان حكما قاسيا غير أن جديسا "مدَّتْ به الرقبة" مكرهةً.

وظل هذا "القانون" ساريَ المفعول، إلى أن تزوجت الشاعرةُ شموس (مضيفتنا صباحَ غدٍ إن شاء الله) التي على يديها توقف القانون الجائر.

لم نسمع شيئًا عن هزيلة الجديسية بعد قصة المحاكمة الغريبة، وبعد أبياتها الغاضبة التي ذاع صيتها، ولكنني أستمرئ دائما الدعوةَ على زوجها الذي لو لم يحاول سلبها وحيدَها ما حدث كل هذا.

#المجد_للشاعرات

62

عُفيرة بنت عفار (أو يعفر)، المعروفة بـ"الشموس" شاعرةٌ جديسية عاشت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرنين تقريبا، وكانت شقيقة زعيم جديس وفارسها: الأسود بن عفار.

أحبت الشموس وتزوجت، ولكنَّ من بين شروط الزواج حينها أن تبدأ العروسُ مشوارها الزوجي من سرير الملك عمليق، ولَم تكن الشموس بمنأى عن هذه العادة... "روَّحُوها" إلى قصر الملك فافْتَرَعَها عُنوةً وخلى سبيلها، لتخرج إلى "العريس" وهي مضرجة بالدماء والدموع والكمد..

كانت التجربة قاسية، نفسيا وبدنيًا، خرجت وهي تردد بحسرةٍ:

لا أحد أذل من جديسِ

أهكذا يُفعلُ بالعروسِ؟!

ورفضت أن يدخل بها زوجها، وأمضت لسانها تسبُّ رجالَ قومها، وتنعتهم بالذل والعار، وتستثير هممهم النائمة، ومما قالت:

أيجملُ أن يُؤتى إلى فَتياتِكم

وأنتم رجالٌ فيكمُ عددُ النملِ؟

وتصبحُ تمشي في الدماءِ عُفيرةٌ

جهارًا.. وزفت بالنساءِ إلى بعلِ

ولو أننا كنا رجالًا وكنتمُ

نساءً، لكنا لا نقرُّ بذا الفعلِ

فموتوا كرامًا أو أميتوا عدوَّكم

وهبوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ

وإلا فخلوا بطنها وتحملوا

إلى بلد قفر وموتوا من الهزلِ

فلّلبينُ خيرٌ من مقامٍ على الأذى

ولّلموت خير من مقام على الذلِّ

ولأنها قررت أن تخوضَ هذه الثورة ولو وحيدة، ولأنها أضربت عن كل شيء حتى يُنتقم لها، ولأنها شقيقة الزعيم فقد نُظِّم اجتماعٌ "على مستوى القعده" قررت فيه جديس أن تثور؛ ولأنهم كانوا مطحونين، وميزان القوة والكثرة والمنعة يميل لصالح طسم وعلى رأسهم عمليق، فقد دبروا حيلة.

كانت الخطة بسيطة تقتضي أن تقيم جديسٌ مأدبةً عظيمةً على شرف الملك عمليق وحاشيته، ولأن الملكَ لا يتوقع غدرًا من جديس المستضعفة فقد جاء متخففا من السلاح والحرس؛ وكان رجال جديس قد دفنوا سيوفهم في الرمل.. وحين كانت "الندوية" في أهم لحظاتها، والضيوف ينعمون بالشواء والطرب، أعملوا فيهم حد السيف وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وتولى الأسود المُلك... وحكم بالعدل، كما يُروى.

ظلت قبيلة جديسٍ سيدة منطقة اليمامة كلها حتى غزتها مملكة حمير القادمة من اليمن، وقضت عليها كليا، ويقال إن زرقاء اليمامة، التي ترى من مسيرة ثلاثة أيام، حذَّرت جديساً من القادمين الذين يريدون بهم شرا، ولكنهم لم ينصتوا إليها، حتى غافلهم جيش حسان بن تبع (كان ذلك طبعًا قبل التبع اليماني المشهور) وأبادَ رجالهم جميعًا.

ولم يقتلوا من النساء إلا الشموسَ وزرقاءَ اليمامة، المرأتين الحكيمتين، اللتين تريان بعيدا، إحداهن بالبصر والأخرى بالبصيرة.

يبدو أن عقدةَ الخوفِ من المرأة عندما تكون ذاتَ رأيٍ وموقفٍ و بصيرة، عقدةٌ قديمةٌ قِدمَ العرب.

#المجد_للشاعرات

63

الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، شاعرةٌ أحبُّها على المستوى الشخصي، لفرط ما وصفها وتغنى بها عمر بن أبي ربيعة، وكنتُ أؤجلها و أراشي النفسَ عنها.. ولكنَّ اليومَ عيد.

قصة الثريا وابن أبي ربيعة قصة مختلفة عن كل قصص الحب التي عرفَتْها المنطقةُ، كانا عاشقين من "الطبقة البورجوازية": عمر فتى مخزوميٌّ، وسيمٌ، ثري، شاعر، مُدلل و"خاسر"؛ والثريا جميلةُ جميلاتِ الجزيرة العربية كلها، تقطن مكة وتصطافُ بالطائفِ، وتزيِّن أصابعها العشرة بخواتم الذهب.

لم يكونا عاشقين محرومين، بل كانا يلتقيان باستمرار.. حتى والثريا بواحات أهلها في الطائف صيفاً، كان عمر يزورها كل "ويكند".. وحينما لا يتزاوران هناك من حَشَمِهما من يغدو ويجيء بالمراسلة بينهما وترتيب المواعدة.

مما يُروى أن الثريا واعدتْ عمرا، وحين جاءت في موعدها وجدت أخاه الحارثَ نائما في مكانه، فألقت بنفسها عليه، وحين انتبه بدأ يصرخ في وجهها: اغربي عني فأنا لست عمر الفاسق... لاحقا قال له عمر: يا حارث لن تأكل النار جسدك فقد لامستَ الثريا.

ويروى أيضا أن الثريا اختصمت مرة مع حبيبها فلطمته، (وقيل لطمته "جَوْغَةً") فأصابت ثنيتيه، فأصبح بهما سوادٌ طفيفٌ دائم، فكان عمر يفتخر به لاحقا ويعتبره أثرا مما ترك

الحب.. بل يقال إن ذلك السواد الخفيفَ جعل ابتسامته أكثرَ وسامة.

ثم....

اختلف الحبيبان؛ يقال إن السبب هو أن عمر تغزل بامرأة من العراق اسمها رملة، فوصلت الأبيات إلى الثريا، فاغتاظت وهجرته، فأرضاها ووعد أن لا يكررها ثانية... ولكنه فعل!

ويقال إنهما اختلفا لأن عمر لم يكن يريد الزواج أو لم يبرمجه... والثريا سئمت من "الحب الحافي".

المهم أن ذلك الخلاف نتجت عه فترة هجرانٍ غامضةٌ في حياة الحبيبين، انتهت بسفرٍ مفاجئ لعمر إلى اليمن، وزواجٍ مفاجئ هو الآخر للثريا...

لم يتوج العاشقان علاقتهما بالزواج أبدا، ولكن جذوة الحب لم تمت في قلبيهما، إذ تزوجت الثريا من سهيل بن عبد العزيز بن مروان، حتى توفي ولم تتزوج بعده..

وفي ذلك يقول عمر:

أيها المنكحُ الثريا سُهيلاً

عمرك الله كيف يلتقيانِ

هي شاميةٌ إذا ما استقلت

وسهيلٌ إذا استقل يماني

وتزوج عمر من ابنة عمه كَلثم بنت سعد المخزومية، ولما توفيت تزوج زينب بنت موسى الجُمحية.

يقال إن العاشقين رغم انشغال كل منهما في حياته الخاصة، ورغم أن عمر تنسَّكَ و اعتزل الغزلَ والمجون... إلا أنهما ظلا يحتفظان بشيءٍ من الحب لا يمحي، يبوحان به للخواص في أوقات التجلي.

تقول الثريا من قصيدة ترد بها على أخرى وصلتها بالـ"البريد السري":

أتاني كتابٌ لم يرَ الناسُ مثلَه

أمِدَّ بكافورٍ ومسكٍ وعنبرِ

وفي صدره مني إليكَ تحيةٌ

لقد طالَ تهيامي بكمْ وتفكري

في الحقيقة يمكنني في الأخير أن أصارحكم بما يجول في خاطري: أعتقد أن شاعرتنا أحبتْ حبيبَها أكثر مما أحبَّها.

الثريا كانت عاشقةً خُرافيةً، وأعطت كل ما تستطيعُ فتاةٌ في ذلك الزمن، ولكنها حين أدركتْ أن حبيبها "لا ينظرُ بعيدا" هجرتْه، وكانت حازمةً مع نفسها، فأسَّست حياةً أخرى، وبقي ما في القلب في القلب..

أحبُّ الثريا!

#المجد_للشاعرات

64

اليوم نحلُّ ضيوفا على خمس شاعرات خارج منطقة العشقِ، إذ يستضفننا في الفناءِ الخلفيِّ للحب.. فناءٌ مؤثثٌ بوسائدِ العتابِ وزرابي الغضبِ ومزيَّنٌ بفسيفساءِ "الشَّوْفَه"... إنهن فتيات آمنَّ برجالٍ، وخبت أضواءُ إيمانهن مع الوقتِ وسوءِ العِشرة.

البدايةُ مع أميمة، التي تسمّى في كتب التراث الأدبي بأميمة النادمة، فقد أحبت وتزوجت بمن أحبت، ولكنها لم تكن "حامِدَةً"، ولا كانت "صابرةً" أيضا على ما يبدو.. فقالت:

إني ندمتُ على ما كانَ من عَجَبي

وأقصرَ الدهرُ عني أي إقْصارِ

فليتني يومَ قالوا: أنتِ زوجتُه

أصابني ذو نيوبٍ سُمُّه ضاري

يا ربٌّ إن كنتَ في الجناتِ مُدْخِلَه

فاجعلْ أميمة ربَّ الناسِ في النارِ

لا تعليق! شاعرتُنا تُعاني....

أما عصيمة بنت زيد النهدية فقد تزوجت أبا السميدع سعيدا بن سالم، وصبرت على معاشرته رغم رائحته التي لم تكن طِيبًا وعنبرا، ثم انفجرت بعد مغالبة الصبر، ونأت بنفسها تاركةً ما أمهرها به من أنعام وذهب، وقالت:

يقولونَ لم تأخذ عصيمةُ مهرَها

كأنَّ الذي يلحي عصيمة لاعبُ

ولو مارسوا ما كنتُ فيه لأخرجوا

ورائي، ولم يطلب إلى المهر طالبُ

كأن رياحاً من سعيدِ بنِ سالمٍ

عَطِينٌ، وقد بالتْ عليهِ الثعالبُ

و كانت أم صريع الكندية كثيرةَ الغضب على زوجها، ولكنها أيضا سريعة الرضى عليه، تقول في إحدى موجات غضبها:

كأنَّ الدارَ يومَ تكونُ فيها

علينا حفرة ملئتْ دُخانا

فليتكَ في سفينِ بني عُبادٍ

طريداً.. لا نراكَ ولا ترانا

وليتكَ غائبٌ بالهندِ عنا

وليتَ لنا صديقاً فاقتنانا

ويُخيَّلُ لي أن أم صريع لا تقصد ما تقول حقا، ففي حديثها طعم "المَكْفي".. والله أعلم!

وتتناول الحديثَ أمٌّ ناشب الحارثية، التي هربت بعد أيام من تزويجها لابن عم كهل، وقالت:

لحا الله قوماً جشموا أم ناشب

سُرَى الليلِ تغشاهُ بغير دليلِ

نظرتُ وثوبي قالصٌ دونَ رُكبتي

إلى عَلمٍ صعبِ المرامِ طويلِ

شخصيا أقولُ بعدم التَّعمق بعيدا فيما أرادت أم ناشب قوله، يكفي أنها تغشى سُرى الليل دون "دليل".. والبيتُ الثاني يُنْصَحُ بعدم قراءته أو تحليله!

ونختم بالشاعرةِ الشابة جمل، التي ابتلاها الله بزوج عجوز... فصبرت واحتسبت، ولكنها كانت تخفف عن نفسها بين الفينة والأخرى ببعض الشعر.

تقول:

يا جمْلُ لو كنتِ عندَ الله مسلمةً

لما ابْتُلِيتِ بشيخٍ مثلَ إدريسِ

لما ابتليتِ بشيخٍ لا حراكَ بِهِ

أبقى لكَ الدهرُ منْهُ شرَّ ملبوسِ

شاعراتٌ لم يكنَّ سعيداتٍ فعبَّرنَ... وإنني طبعًا إلى جانبهن، رغم بعض العتب عليهن: فهلاَّ تركنَ أسرارَ البيوتِ خلفهنَّ، ومضينَ إلى حيواتٍ أُخَر؟!

ولكنني أعود وأنصفهن، فقد عشن بالتأكيد عذاباً حدا بهنَّ إلى اجتراحِ ما اجْتَرَحْنَ من قول.

#المجد_للشاعرات

65

شعانين شاعرةٌ شامية جميلةٌ أحبَّت الخليفة العباسي المتوكل وأحبها. يقول عنها كتابُ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: "كانت ذاتَ حسن وجمالٍ، وبهاءٍ وكمالٍ، ولطفٍ وظرفٍ، واعتدالِ قدٍّ، واحْورارِ طرفٍ. مُجيدة لضروبِ الغناءِ وفنونه، عالمة بأساليب الغرام وفتونه".

وشعانين اسمٌ نصرانيٌّ خالص، إذ أن "أحد الشعانين" هو يومٌ مهم في الثقافة المسيحية ، هو الأحدُ السابع من الصومِ الكبير، والأخيرُ قبل عيد الفصح.. وهو اليوم الذي دخل فيه عيسى عليه السلام إلى مدينة القدس.

التقى الحبيبانِ بالصدفةِ حينما كان المتوكل يتجول في ضواحي الشآمِ، وأخذه التجوال بعيدا حتى وصل كنيسةً فقرر استكشافها، وبينما الراهبُ يلعبُ دور الدليلِ للخليفة في أروقة الكنيسة، ويشرحُ له دلالاتِ الرسوم وطريقة العبادة لدى النصارى، أشرَقتْ شعانينُ من بين المذبح واللوح المقدس تحملُ مجمرةَ بخورٍ، وتوزع الشذا على الحاضرين.. فالتقطَ الخليفة مرورَها، وسأل عنها. فعرف أنها ابنة الراهب.

قرر المتوكل أن يمضي يومه في ضيافة الراهب، فنزل بخيله وخُيلائه وبعث من يجلب الولائم، وألقى قلبَهُ وعصى الترحال.. يقال إنه ناداها أن تسقيه ماءً فقالت: "يا سيدي، ليس هنا إلا ماء الغدران، وأنا لا أستنْطِفُه لك، ولو كانت حياتي ترويك لجُدْتُ لك بها"، ففهم الخليفة أنه أمسَكَ بداية الخيط، وأن شاعرتَنا "اتْنَزَّلْ لكلام"!

وعند الأصيل بعد يوم حافلٍ بالطربِ ومجلسٍ مفروشٍ بالغزلِ البريء حينا، والمكشوف أحايين أخرى.. طلبَ المتوكل يدها منها مباشرة، قبل أن يكلم والدَها، فقالت انتظر قليلا يا أمير المؤمنين، ثم أحضرت عودها وأجابته شعرا وغناء قائلة:

يا خاطبًا مني المودة مرحبًا

روحي فداؤُك لا عدمتُك خاطِبَا

قد ـ والذي رفعَ السماءَ ـ ملكتَنِي

وتركتَ قلبي في هواكَ مُعذَّبَا

ولم يعد هناك بعد ذلك وقت للكلام، فقد تجاوزا للأهم؛ رغَّبها الخليفةُ في الإسلام قائلا إنه في جميع الحالات سيتزوجها سواء أسلمت أم لم تسلم؛ فقبلت الإسلام مباشرة، رددت الشهادتين وتم الزفاف في نفس اليوم و"راحَتْ" إلى القصر في سامراء أميرةً معشوقةً.. وظلت متربعةً على قلب الخليفة حتى صعدَتْ أسهمُ قبيحة في قلب المتوكل.

طبعًا لنعترفْ أولًا أن قبيحة لم تكن قبيحة بل كانت "صاروخًا" جماليًا روميَّ الأصلِ، ولكنها تحمل اسما عكسيا يراد به رد "العين" والحسد (تمنيت أن تكون قبيحةُ شاعرةً لأتحدث في هذه السلسلة عن حياتها المليئة بالـ"آكشن").

قبيحة أم المعتز أخذت فجأةً بمجامع قلبِ المتوكل، ثم سَعَتْ للوقيعة بينه وأولاده، وبينه ورعيته، وبينه وبين قادة الجندِ الأتراك، مما أدى في النهاية إلى مقتله بأمر من ولده... وسعتْ أيضا قبل ذلك للوقيعة بينه وبين حبيبته شعانين.

اختفت شعانين عن الواجهة، وانحسرت عنها الأضواءُ بعد أن أحالتْها قبيحةُ إلى "المعاش".. ولا ندري هل طلقها المتوكل أم تركها زوجةً "مع وقفِ التنفيذ".

كانت شعانين"نصرانية" فاتنةً التقت حبيبها صدفة على رائحة البخور، وافترقتْ معه مُجبَرةً بِسَبْقِ إصرارٍ وترصُّدٍ و "كَجٍّ" من قبيحة المدمرة.

#المجد_للشاعرات

66

سُعدى شاعرة جميلة من بني عذرة؛ تسكن وادي ذي سَلَمٍ، وهي بذلك جارةٌ مجازيَّةٌ للبوصيري الصنهاجي في مطلع "بُردَتِه" الشهيرة.. أحبَّها ابنُ عمها الشاعر مالك بن عقيل العذري حبا عظيما، وأحبته ضِعفين.

استطاع الحبيبان كتم حبهما بعيدا عن الأنظار، وتقدم مالك لخطبة حبيبته رسميا، غير أن القدر كان يخبئ لهما مفاجأة على شكل رجل يحب سعدى ولا تحبه.. اختلق قصةً ووشى بالحبيبين إلى رجال القبيلة، فأجَّلوا البتَّ في هذه الخطبة حتى يتأكدوا من صدقِ الوشاية.

ولكن الحبيبين واصلا اللقاءَ والتزاوُرَ خلسةً قبل أن يعود نفسُ الرجلِ الحقير، ويكتب شعرا بذيئا على لسان سُعدى تشتم فيه مالكاً وتنالُ من شرفه وتطلب فيه الكف عن ملاحقتها.. فما كان من مالك إلا أن غضب وترك لها ذي سلم وما حوله، وسافر إلى مكة هروبًا من الحب و "سيرة الحب وظلم الحب لكل اصحابه..."

ثم علمت سعدى لاحقاً بما حدثَ ووصلتْها "جقَّةُ" القصيدةِ المزورة، وفهمت لماذا هجرها حبيبها، فقررت أن تختلق مبررًا وتذهب إلى مكة لتلتقي مالكًا، على الأقل حتى تشرح له القصة وتعيده إلى دائرة الحب.. وتبرئ ذمتها من النص الذي لم تقله.

عندما وصلت سعدى إلى مكة، علم الحبيب المجروحُ "العبيطُ" بمقدمها، فبالغ في تجاهلها بل الهروب منها ومن أي مكان قد يجمعهما .. فاتخذت كعبًا ابنَ مسعدة الغفاري مطيةً إلى ملاقاة مالك، وكان صديقه المقرب، توسلت إليه أن يجمعهما بعد أن شرحت له كل شيء، فوعدها بذلك، وفعلا دبر لها لقاء مع صديقه العزيز،... وأعتقدُ أن أسهل شيء هو أن يدبِّر الصديق لصديقه لقاءً مع فتاةٍ تحبُّه.. نحن بارعون جدا في هذا.

حاولت سُعدى أن تشرح وأن تضع الأمور في سياقها ولكن مالكا لم ينصت إليها حتى...

تقول في ذلك:

تجاهلتَ وصلي حينَ لاحت عَمايَتي

فهلا صرمتَ الحبل إذ أنا أبصرُ

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته

نصيبٌ، ولي رأيٌ وعقلٌ موفرُ

ولكنني آذنتُ بالصوم بغتةً

ولستُ على مثل الذي جئتَ أقدرُ

وواصل مالك "التغليه" بنفسه، وكان يصارح صديقه كعبا بحبه الجنوني لسعدى، ومع ذلك يؤجل عودة المياه إلى مجاريها كأنه يعاقبها غباءً على ذنب لم ترتكتبه...

بعد محاولة أخرى استسلمت سعدى لهواجسها وانكسرت زجاجةُ روحها..

تقول:

خلوتمْ بأنواع السرورِ هناكُمُ

وأفردتموني للصبابةِ والحزنِ

وعذبتموني بالصدودِ وإنني

رضيتُ بما ترضونه لي من الغبن

في نفس الليلة خنقت سعدى نفسها بخرقة فلحقها من كانوا إلى جانبها وخلصوها وبدؤوا يخففون عليها الهم، وهي تشكو قسوة قلب حبيبها، ولَم تزل كذلك حتى أخذتها سنة من النوم لم تَصْحُ منها أبدا... وندم مالك على ما كان منه ولازم قبرها لا يبرحه حتى لحق بها بعد فترة قصيرة امتنع فيها عن الأكل والشرب حتى قضى.

سعدى عاشقةٌ واجهت المجتمع، حاربتْ الوشاية، سافرتْ لتعتذر ولتوضحَ، فجوبهتْ بحبيبٍ صعبِ المراسِ بطيء الرضى فلم تجد منفذا من براثن الحب إلا إلى الموت...

#المجد_للشاعرات

سُعْدَانا اليوم تختلف قليلًا عن سُعدى يوم أمس، إنها شاعرة موصوفةٌ بالجمال الصارخ من بنات المدينة المنورة. أحبت سُعدى فتًى عُذريًا وأحبها، وبني عذرة معروفون بالعشق "يا سعدهم"... وعاشا سنواتٍ في العسلِ، قبل أن تتداعى الأشياءُ.

فجأة حلت بإبلِ الحبيبِ وشُويهاتِه إحدى نوائب الدهر أفنتها جميعًا، وبقيَ مُعدمًا فقيرًا، ولكنه حمدَ الله على نعمة الحبيبة.. تلك النعمة التي لم تدم طويلًا، فحينما علم أبو سُعدى بما حصل، جاء وأخذ ابنته، وهدده أن يطلقها وإلا سينالُ منه.

فكر الحبيبُ وقدر ثم ذهب إلى الوالي ليحتج على التفريق بينه وزوجته، وكان والي المدينة حنيها مروان بن الحكم، فطلب أن تحضر الفتاةُ ليسمع منها ويبتَّ في الأمر، وأول ما دخلت سُعدى نسيَ ابنُ الحكم نفسه ومكانته، وتحول إلى خصم للزوج المسكين.. كان جمال سعدى طاغيًا وكان الوالي "عادلًا بالفالْ" (مع كامل احترامي للصحابة رضوان الله عليهم)، فزُجَّ بصاحبِنا في السجن، وعُذِّبَ حتى طلق زوجته مُكرها؛ وتزوجَها الوالي.

حين خرج الزوج من السجن يائسًا قرر أن يسافر إلى معاوية ابن ابي سفيان رضي الله، في دمشق ليشكو له ابن عمه وعامله على المدينة. لما قدم شكايته عند معاوية كتب الأخير إلى مروان، يعزره ويأمره أن يطلق الفتاة ويرسلها إلى دمشق فورًا.. ففعل الوالي.

وصلت سُعدى إلى دمشق، ووقفت في بلاط معاوية وهي تتبادل النظرات مع زوجها، وتحلم بالفرج القريب؛ غير أن معاوية هاله جمالُها وفكر أن يستأثر بها لنفسه، فاقترح على الرجل أن يعطيه مالا و إبلا وقصرا وثلاث جوارٍ حسانٍ، فيتنازل عن الموضوع برمته، فقالَ العذري:

"استجرتُ بعدلِكَ من جور ابن الحكم، فبمن أستجير من جورك؟ يا أمير المؤمنين، لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما تخليت عن سُعدى".

أراد معاوية مناورةً أخيرة، فقال له: أنت طلقتها ومروان طلقها بعدك، وهي الآن امرأة حرة فلنخيرها، ثم التفت إلى سعدى قائلا:

"يا سعدى أيّنا أحبّ إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره؟ أم مروان في غصبه واعتدائه؟ أم هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟"

اشرأبَّت الأعناقُ إلى سعدى، وساد الصمت في انتظار ما ستدلي به..

قالت وهي تشير إلى حبيبها:

هذا وإن كانَ في جوعٍ وأطمارِ

أعزّ عنديَ من أهلي ومن جاري

وصاحبِ التّاجِ أو مروان عاملِه

وكلِّ ذي درهمٍ منهمْ ودينارِ

أُسقطَ في يد معاوية، ولكنه تقبل الهزيمة بروحٍ رياضية.. فأعطى الحبيبينِ عشرةَ آلاف درهم تعينهما على استئناف الحياة معا، وكان شاهدا على زواجهما بعقد جديد.. وعلى استمرار قصة الحب الملهمة.

أشكر لسُعدى أنها منحتني شرفَ وفرحة أن أحكي لكم قصة حبٍّ تنتهي نهاية سعيدة، على غير عادةِ قصصِ الحب في الجزيرة العربية.

سعدى شاعرةٌ جميلةٌ وأنثى استثنائية وعاشقةٌ تملكُ من الوفاءِ ما تخيطُ به ثوبَ حبٍّ مزقته الظروفُ وأطماعُ السلاطين..

#المجد_للشاعرات

هند بنت عتبة.. المرأة التي مزجت بين الفصاحة والشجاعة والكبرياء والكاريزما و "البلگه" و "زين الذات"؛ والسيدة التي "بطشت" في الجاهلية، وعززت مكانها و مكانتها في الإسلام.

أبوها عتبة بن ربيعة، رجل عُرف بالحكمة، يسجل له التاريخُ مواقف حكيمة وشجاعة، من أكثرها شجاعة وحنكة ورجاحة عقل بالنسبة لي قولته الشهيرة: "اعصبوها برأسي وقولوا جَبُنَ عتبة".. أن يقول ذلك فارسٌ من قريش في وجه حربٍ، هي لعمري شجاعة عظيمة.

لم ترض هندٌ أن تكون نسخة من بنات جيلها، بل كان لها رأيٌ وشخصيةٌ وحضورٌ، ساعد في ذلك عقلها وحكمة والدها و"ثقافته".. إن الأنثى التي تستطع أن تنظر في عينيْ أبيها، وتطلب منه دون مواربة ألا يزوجها إلا بمن توافق عليه هي شخصيًا، في زمن تئد فيه قريش بناتها، لهي امرأة جديرة بالاهتمام.

في بداية شبابها تزوجت الفاكهَ بن المغيرة، وبعد عِشرة وإنجاب ابنها أبان، اتهمها بالخيانة، حين رأى رجلاً يخرج مسرعًا من داره. شعرتْ هند بالإهانة وقررت ألا تسكت وترضى بالطلاق والمداراة على فضيحتها في صمتٍ..
احتكم الطرفان إلى كاهن باليمن حكم ببراءة هند، ولكنها بعد البراءة أصرت على عدم الرجوع إلى الفاكه ومعاشرته بعد الذي كان منه... وقيل إنه كان يحبها حبا عظيما، غير أنها لم تلتف وراءها.

بعد الفاكه كان عتبة كلما جاءه خاطب، يعرض أمره على هند، فتجد مبررا لـ"زحلقته" حتى خطبها أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو (مندوب قريش لاحقا في مفاوضات صلح الحديبية، والصحابي الجليلُ بعد فتح مكة).. فاختارتْ أبا سفيان، وأنجبت منه معاوية وعتبة وجويرية وأم الحكم.

امتازت علاقتها بأبي سفيان بالندِّية وسياسة الرأيين، لم تكن أبدا امرأة خانعة، أو ربة بيت تقليدية لا ظلَّ لها، بل ظلَّا يتقاسمان زعامة البيت. ويستشيرها في شؤون بني أمية وقريش قاطبة، و يتفاءل بمشورتها.. تحكى قصةٌ عن بُخلِ أبي سفيان في الإنفاق عليها، لم أستسغها.. لكثير من الاعتبارات!

حدثت بينها و الخنساء "مشاداتٌ شعرية" على شكل بكائيات جميلة في سوق عكاظ، كانت هند تبكي أباها عتبة وأخاها الوليد وعمها شيبة وكانت الخنساء تبكي صخرًا ومعاوية وأباها عمْرًا.

كانت هند فارسة حرب ومحرضةً بالشعر والحماسة في سوح الوغى، ومن أشهر معاركها غزوة أحد التي كانت فيها إلى جانب جيش قريش ضد المسلمين، ومعركة اليرموك التي أبلت فيها بلاء حسنا.

كل تفاصيل حياة هند مليئة بالقصص الملهمة:

قصة زيجتيها، قصة تحررها، قصة انتقامها، قصة تبرئتها، قصة إسلامها، قصة مبايعتها، قصة هديتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قصة جهادها.... ثم إنها من رواة الحديث.

على فصاحتها، ومنتوجها الشعري الغزير لم يسجل لهند شعرٌ في الحب والغزل.. لم تكن عاشقة عظيمةً للأسف.. علاقتها بالرجل علاقة ندية ولكنها كانت تنظر إلى هذه الندية نظرة مختلفة تربأ بنفسها عن أن تبدو مستسلمة لمشاعرها.. تلك هي نقطة الضعف الوحيدة التي أخلت عندي بتاريخ المرأة.

معجبٌ أنا بالهنداتِ عموما، وبي ولع خاص بهند بنت عتبة. ثم إنها من الشخصيات القليلة التي رسمتُ لها صورة منذ الطفولة ترفضُ أن تمَّحي رغم كل اللواتي مثَّلنَ شخصيتها في السينما والتلفزيون من أمثال العظيمة منى واصف، و صبا مبارك و مي سكاف.... هند صورة عصيَّةٌ على التجسيد.

#المجد_للشاعرات

69

خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافرية، المعروفة بخدُّوج، شاعرةٌ عاشقةٌ، عاشت نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس في مدينة رصفة، المعروفة حاليا بـ"الشابة" في تونس.. عاصرت ابن رشيق القيرواني لأنه كتب عنها في أنموذجه، وهي ما تزال على قيد الحياة.

أحبت خدّوج الشاعرَ أبا مروان، عبد الملك بن زيادة الله الطُّبنيّ، نسبةً إلى مدينة طُبنة، التي أصبحت تسمى بريكه، في ولاية باتنه الجزائرية حاليا، ولد وتربى في قرطبة وجال في الأمصار الإسلامية، وعند مروره برصفة أحبَّ خدوج

وأحبته... تقول بعض المصادر إنه ربما يكون شاعرا آخر من نفس المنطقة يحمل نفس الاسم، ولستُ أقول بذلك الرأي.

بدأت قصة الحبيبين بلقاء عابرٍ كان الشعرُ عرابَه قبل أن يلتقط الحبُّ زعامة الموقفِ ويوجِّهَ بوصلة المصائرِ لصالحه، وتطورت العلاقةُ سريعاً بين الكائنين، إذ وجد كل منهما في الآخر إلفًا كان يبحث عنه، ولكن الوشاة كانوا لهما بالمرصاد، وحاولوا السعي بينهما بأنواع "آسواغه"، حتى كاد الحبيب يحزم أمتعته ويتخلى عن هذا الحب.

تقول خَدُّوج:

فرَّقوا بيننا فلمَّا اجتَمعْنا

مزَّقونا بالزورِ والبهتانِ

ما أرى فعلهُمْ بِنَا اليوم إلاَّ

مثل فعلِ الشيطانِ بالإنسانِ

لهفَ نفسي عليكَ، بل لهف نفسي

منك، إن بِنْتَ يا أبا مروانِ

وما بانَ أبو مروانُ، وما ينبغي له أن يبينَ، بل واصلَ التَّشبُّثَ بحبيبته والغرقَ في حبها...

تمكن الوشاةُ من إذاعةِ العلاقةِ في "نشرةِ الثامنة مساءً"، حينما لم يستطيعوا خنقها في المهد؛ فعلم إخوةُ خَدُّوج بالأمر الإدِّ الذي أتته أختُهم، فوقفوا أمام رغبة الحبيبين في الزواج، بل هددوا مروان بالقتل إن هو لم يغادر المدينة فورا..
للأسف مررنا بحقبة كان الحبُّ جريمةً يعاقِبُ عليها المجتمع.

يقال إنه رفضَ المغادرةَ، وحاول التخفي، واللقاءَ بحبيبته تحت جنح السرية المطلقة، ولكن أمرَه افتضِحَ ذات لقاءٍ، فتنادى إليه أصهاره الافتراضيون وقتلوه.. وهو في النهاية قول له ما يفنِّده، ولكنه يبقى واردًا في ظل شح المصادر.

كتبت خدوج شعراً جميلاً غاضباً تعاتبُ فيها شقيقها الأكبر على التفريق بينها وبين حبيبها؛ ولا نعرف بعد ذلك ما الذي حل بشاعرتنا. أعتقدُ أنها انسحبت عن دائرةِ الضوء وعاشت بقية حياتها تقتاتُ على الصمتِ والذكرياتِ.

يوجد حاليا في مدينة الشابة التونسية، مَعلمٌ حضاري سياحيٌّ يحمل اسم "برج خديجة"، يعيد البعض أصل التسمية إلى الشاعرة خدوج تخليدا لقصة حبها الملهمة، كمواطنها محمود مقديش في كتابه "نزهة الأنظار".

خدُّوج شاعرةٌ مُجيدةٌ وعاشقةٌ عظيمةٌ وإنسانةٌ أعطت كل طاقتها للحب، ولكن الحبَّ أخرجَ لها لسانَه ليُغِيظَها، بعد أن حطم كلَّ آمالها على جدار سميكٍ من التقاليد والعاداتِ، ومعاداةِ المشاعرِ السامية.

#المجد_للشاعرات

70

ورد.. شاعرةٌ جميلةٌ ويتيمةٌ، رباها والدُها، وكانَ وزيراً، في قصرٍ لا تختلطُ بأحد، سوى امرأة عجوز علمتها القراءةَ والأدبَ وما تقيمُ بها عباداتِها من الفقه؛ ووصيفةٍ تهتمُّ بشؤونها الأخرى..

وكبرت وردٌ.. وتعلمت ما لا يُتَعَلَّمُ في المدرسةِ.. تعملت أن يخفَقَ قلبُها وأن ترقُصَ أنوثتُها!

كان يمر من الشارع، تحت نافذتها شابٌّ من عامة الشعبِ كل ضحًى، وكانت تقفُ في "بلكوناتها" تترصده يوميا.. أصبحتْ العادةُ شغفًا، ولم تعد تكتفي بالمشاهدة، أصبحت كل ما مرَّ ترميه بتفاحةٍ، ويتبادلان النظراتِ، ثم الابتساماتِ لاحقاً؛ وشيئا فشيئاً أصبحا يتبادلانِ الإشاراتِ والغمزاتِ وقولِ ما لا يقال...... وتآلفا!

طلبت الأميرةُ الصغيرة من وصيفتها أن تسير خلف الفتى، وتجمع عنه كل ما تستطيع من معلوماتٍ.

تكللت المهمة المخابراتية بالنجاح؛

الاسم: أنس الوجود

المستوى الاقتصادي: فقير

الحالة الاجتماعية: أعزب

تجرأت وردٌ، وأرسلت إلى الفتى الجميلِ رسالةً قصيرة، فعادت الوصيفة بالجوابِ شعرًا.

أعلِّلُ قلبي في الغرامِ وأكْتُمُ

ولكنَّ حالي عن هوايَ يُترجِمُ

فلو فاضَ دمعي قلتُ: جرحٌ بمقلتي

لئلا يَرى حالي العذولُ فيفهمُ

وكنتُ خَلِياً لستُ أعرفُ ما الهوى

وأصبحتُ صبًّا والفؤادُ مُتَيمُ

وهبتُ لكم روحي عسى تقبلونها

فلي الوصل شهدٌ والصدودُ جهنمُ

كان هذا الاعترافُ كافيًا ليفجرَ ينابيعَ الشعر على لسانِ الحبيبة التي تجرب أحاسيس الوجدِ للمرة الأولى:

فأرسلت له:

يا من تَعلَّقَ قلبُهُ بجمالِنَا

اصبرْ لعلكَ في الهوى تحظى بِنا

لما علمنا أن حُبَّك صادقٌ

وأصابَ قلبَكَ ما أصابَ فؤادَنا

زدناكَ فوقَ الوصلِ وصلاً مِثلهُ

لكنَّ منعَ الوصلِ من حُجَّابِنا

الفرضُ في شرعِ الهوى كتمُ الهوى

لا ترفعوا المسبولَ من أستارِنا

لم تستطع الوصيفة تهريبَ الرسالةِ الغرامية هذه المرة، فقد ضُبطت متلبسةً، وسُلِّمَت الوثيقةُ الخطيرةُ للوزير، الذي استشاط غضبا، وأمر أن تُنقل ابنته فورا إلى مكان آخر بعيدا عن أنظار هذا العاشق المتطفل.

تركت وردٌ مع وصيفتها أبياتًا لعلها تتمكن من تهريبها يوما... منها:

بالله يا دارُ إن مر الحبيبُ ضُحى

مُسلّما بإشاراتٍ يُحيِّينا

اهديهِ منا سلاما زاكيا عطرًا

لأنه ليسَ يدري أينَ أمْسينا

أرسلت وردٌ بعيدا، وظلَّ أنس الوجود يبحث عنها في الفيافي دون أمل، حتى يسر الله له أميرًا ثريا التقاهُ صدفةً و سمعَ منه، وقررَ أن يساعده في خطبة الفتاة من أبيها، مع ضرورة كتمان ماضيهما معا عن الأب.. وكان لهما ما أرادا!

اجتمع الحبيبانِ، وعاشا حبهما الذي وُلد كاملاً رغم الفرق الشاهقِ بين الشوارع والشرفاتِ العالية.

وقبعتي واحترامي وامتناني لرُسُلِ الحُبِّ الستة:

النظرات،

الابتسامات،

التفاح،

الشعر،

الوصيفة،

والأمير الذي لا شك أنه "فَظّلتْ مصيبه" من الحبّ، وإلا ما كان فعل كل ما فعل لـ"يوفّقَ قلبين في الحلال".

#المجد_للشاعرات

ندق اليوم بابَ قصر إحدى جميلات دمشق، الشاعرة الأميرةِ فاطمة بنت عبد الملك، جدها خليفةٌ، وأبوها خليفة، وزوجها خليفة، وأربعة من إخوتها خلفاء، و ثلاثة من بني إخوتها خلفاء.. وكانت إلى ذلك فاتنة الوجه فصيحة اللسان، ذَات عقل راجح ورؤية ثاقبة، ولها شخصية قوية.

أحبت ابن عمها عمر بن عبد العزيز الذي يلقب بخامس الخلفاء الراشدين (شخصيا أعتقد أنه إن كان ولا بد للخلفاء الراشدين من خامسٍ فهو تاريخياً سبط رسول الله صلى الله عليه، الحسن بن علي رضي الله عنه، وليكن عمر سادسهم... ولكن ذلك موضوع آخر)، وتزوجا زيجةً تقليدية طبعا، برعاية والدها وعمه عبد الملك بن مروان.

لما تولى عمر الخلافة بدل أن تزداد فاطمة في العز والسلطنة، تغيرت الأحوال المادية إلى الأسوأ، أصبحَ القصرُ بيتًا عاديا، واختفى الخدمُ والحشمُ، وأصبحت الأميرة التي وُلدت وفِي فمها ملعقة من ذهب ـ على حد تعبير بابا نزار ـ مضطرةً إلى ترتيبِ شؤون بيتها بنفسها.. وقد خيَّرها عمر بين أن تصبر على هذه الحال، أو أن تعود إلى قصور أهلها مطلقة معززة مكرمة، فاختارت البقاء إلى جانب الرجل الذي أحبته.

وكان لفاطمة ثروةٌ كبيرة، إذ كان والدها عبد الملك يحبها بجنون، ولا يبخل عليها بالهدايا، حتى تكونت لديها ثروةٌ من أساور الذهب وقلائد الزمرد والجواهر الثمنية .. فخيرها بين أن ترد كل ذلك إلى بيت مال المسلمين أو أن تلحق بأهلها، ومرة أخرى تختار حبيبها وتتنازل عن كل ممتلكاتها لبيت المال.

يقال إن أخاها يزيد لما تولى الخلافة بعد عمر ، اقترح عليها أن يعيد إليها أموالها فرفضت وقالت: "لا والله، لا أتنازل عن ذهبي في حياته وأرجع فيه بعد موته"

تنسب لها هذه الأبيات، بعدما أكثر عمر من "وَرَعِهِ" وزهده وقيامه الليل، وهجره فراشها بعد الخلافة:

أغِثني أيها الملكُ الذي قدْ

سبَى عقلي وهامَ به فُؤادي

أراكَ وسِعْتَ كل الناسَ عدْلاً

وجرتَ عليَّ من بين العِبادِ

وأعطيتَ الرعية كل فضلٍ

وما أعطيتني غيرَ السُّهادِ

سمع عمر ذلك و "غيَّرَ الاستراتيجية"..

بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رحمه الله بفترةٍ، تزوجها سليمان بن داود بن مروان الملقب بالأعور، فكانت العربُ تقولُ حينها: هذا هو الخَلَفُ الأعورُ.. ولا أدري ما علاقة ذلك بـ"البدل الأعور" المعروف في الثقافة الحسانية.

فاطمة الشاعرة الأميرة الفاتنة التي تخلت عن كل سُبُل الراحة من أجل حبيبٍ زاهدٍ في الدنيا. ولو أنني جايلتُ عمر كنت طلبتُ منه أن يزهد ما شاء، ويترك لزوجته حقها في استثمار مالها "الحلال" في راحتها.. ولكنه الحبُّ ورب الكعبة!

#المجد_للشاعرات

حذافة بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدية، الملقبة بالشيماء، شاعرة جميلة وفصيحة وذات كاريزما وحضور، صحابية جليلة، بل هي أخت الرسول المكرم صلى عليه وسلم من الرضاعة.

في يوم هوازن، أو غزوة حنين التي انقلبت فيها هزيمة جند المسلمين الوشيكة إلى نصر مبين على قبيلتي هوازن وثقيف؛ سُبيت الشيماء فيمن سبي من النساء، وقد "حَرَّشَ" معها من أسَرها قليلا، فقالت لهم: ترفقوا بي فأنا أخت صاحبكم!

حتى إذا وصلوا بها إلى الرسول قدمت له نفسها، فهش لها وبش وسألها عن علامة ذلك، فقالت: "عضةٌ عضضتنيها في ظهري وأنا متورِّكتُك"، فعرفها ورحب بها، وبسط لها رداءه الشريف، فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، وخيرها بين الإقامة معه أو العودة إلى ربعها، فاختارت العودة بعد أن أعلنت إسلامها.. فأكرم مثواها و أرسل معها من يوصلها و "غيّبها" بمال ونعم.

بعد أن توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم سرت موجةٌ رِدَّة في بعض قبائل العرب، وكانت هوازن، لقرب عهدها بالإسلام ولاعتباراتٍ موضوعيةٍ أخرى، من بين المرتدين.. ولكن الشيماء وقفت بلسانها الفصيح وإيمانها القوي في وجه هذه الموجة، وظلت تخطب في قومها شعرًا ونثرا، وترغيبا وترهيبا، بالعقل حينا وبالعاطفة حينا، حتى استتب الوضع وعاد المشككون إلى إيمانهم.

كانت الشيماءُ تؤلف الأراجيز في ترقيص المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو طفل في بيت أمها حليمة السعدية، إذ كانت تكبره بست سنوات.

مثل:

يا ربنا ابقِ لنا محمدَا

حتى أراه يافعًا وأمردَا

ثم أراهُ سيدًا مسودَا

واكبتْ أعاديهِ معًا والحُسَّدَا

لم أستطع العثورَ في كل المراجع التي تصفحتُها على أي شي له علاقةٌ بحياتها العاطفية رضي الله عنها...

#المجد_للشاعرات

73

تقية بنت غيث بن علي بن عبد السلام الصُّورية (نسبةً إلى مدينة صورْ التاريخية)، شاعرةٌ شاميةٌ، ولدت في دمشق وعاشت بمصر إبان الفترة الأخيرة من حكم الفاطميين وبداية الأيوبيين.

ولدت تقية لأسرة عريقة من صور، هاجر والداها إلى دمشق قبل مولدها قليلا، وحين بدأت أنوثتها تتشكَّلُ، تنقل ذووها مجددا إلى الإسكندرية، وهناك شبت وتفتقت موهبتها في الشعر

والفصاحة ومقارعة الشعراء والفوز عليهم في معارك الذوقِ والتلقّي.

منذ الوهلة الأولى قررت تقية أن تكون من أعيان الإسكندرية، وأن تختط لنفسها مساحة أدبٍ واحترامٍ في ذلك المجتمع الذكوريِّ... فكان لها ما أرادت. يُحكى عنها قدرٌ كبيرٌ من الأنَفَة والشموخ والشجاعةِ في التعبير عن رأيها، ثم إنها كانت تركنُ إلى حصنٍ مكينٍ من الاعتدادِ بالنفس.

تقول من إحدى قصائدها:

وللمُتنبِّي أحرُفٌ في مديحهِ

على نَفْسِهِ بالحقِّ والحقُّ أَوْضَحُ

أرُوني فتاةً في زماني تَفُوقُني

وتَعْلُو على عِلْمي وتَهْجُو وتَمْدَحُ

من الشام سافر إليها "مُوَّجِدًا" ابنُ عمٍّ صوريٌّ هو فاضل بن حمدون، ولَم يعد من رحلته تلك، فقد أحبها وأحبته وتزوجا وطاب له المقامُ إلى جانبها، ورغم أنه كان عالما وشاعرًا وضليعا في اللغة، إلا أن نورها كان أقوى فغطى عليه، حتى اختاره الله إلى جواره، وتبعته بعد ثلاث سنوات.

في آخر عمرها كتبت قصيدةً مديحيه في الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه، وكان حينها يخلف عمه صلاح الدين الأيوبي، ذكرت فيها الخمر، فأراد منافسوها الذكورُ الطعنَ فيها اجتماعيًا ودينيا، حتى تفقد مكانتها الأدبية، مُتَمْتِمِينَ على مسامع

الملك المظفر أنها لا تستطيعُ كتابة هذا الوصف عن النبيذ إلا إذا كان لها نصيب من السُّكرِ.

وقالوا:

الشيخةُ كانت صاحبة كأس في شبابها!

وهذه تهمة كارثية كانت كفيلة أن تفقدها كل ما بَنَتْهُ.

فكرت تقيةُ وقدرت، ثم كتبت نصا شعريًا عن الحرب وما يدور فيها، و ألقته أمام الأمير وجلسائه، وحينما استبد بهم الطرب من جمال النص قالت:

"أرَانِ بعدْ ايْلَ ذَاكْ معرفَتي بهذه كمعرفتي بذاك"؛ تقصد أنها أبدعت في وصف الحرب رغم أنها لم تخض حرباً..

فبُهِتَ الذين تقوَّلوا!

عاشت تقية في عصر أفولٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ:

تدهورُ الدولة العباسية إلى الحضيض،

سقوطُ الفاطميين والسلاجقة،

القدسُ في يد الصليبيين،

ومغربًا يتناحرُ ملوكُ الطوائف..

والأدبُ يتداعى ككل شيء؛ ومع ذلك برزت شاعرتُنا وسجلت اسمَها، وكتبت مدونةً شعريةً عظيمةً، وصلَ إلينا أغلبُها.

رحلت تقية قبل حِطِّين بعامين، تاركةً خلفها إرثًا أدبيًا ثريا، و ولدًا سيكون لاحقًا من أهم فقهاءِ الإسكندرية وعلماءِ الحديث، هو أبو الحسن علي بن فاضل بن حمدون الصوري الشافعي.

#المجد_للشاعرات

نحطُّ الرحالَ هذا الصباح في العصر الجاهلي، مُنِيخِينَ ببابِ إحدى شواعر العرب الأنِفَاتِ الشامخاتِ "المخْموراتْ"، مقتحمينَ خلوةَ سيدةِ المقامِ العالي ليلى بنت المهلهل.

ليلى بنتُ المهلهل عدي، الزير سالم بن ربيعة، وأمُّ عمرو بن كلثوم سيد تغلبٍ وفارسها وشاعرها الصادح، (مبدع معلقةِ "ألا هبي بصحنك فاصبحينا...") جميلةٌ، ذكيةٌ، ذاتُ مالٍ وجاهٍ وعزٍّ و منعةٍ.. "حنَّكَتْ" ابنَها عمرا وحفيدها الأسودَ بالشعر والكبرياء واحترام النساء.

عندما وُلدت ليلى كان قرارُ وأدِها جاهزا ومُوقَّعا، وطُلِب من أمها هند بنت عتيبة التنفيذ فورا؛ ولَم تكن قسوةُ الحياة وقسوةُ الرجالِ وقسوةُ الجهل لتجعلَ أمًّا تئِدُ ابنتها بكامل إرادتها.. فعاشتْ ليلى في سياقٍ موازٍ تراها أمها خِلسةً، وتجلبُ لمربيتها/مرضعتها ما استطاعت من قُوتٍ وحُب.. لاحقا سيفرحُ الرجل الذي أرادها ميتةً بصنيعِ زوجته، ويستخلصها لنفسه ابنةً عزيزة، بل يتكنَّى باسمها (فهو أبو ليلى).

نضجتْ أنوثةُ ليلى على نارٍ هادئةٍ، وأيْنعَ جمالُها المراهقُ سريعاً، وكانت "حاسَّةً بذاك"، لم يُعرفْ عنها حبٌّ ولا إعجابٌ، بل إنها لم تلتفت إلى شباب القبيلة قاطبةً، كان "شيطانُها كهلاً" على ما يبدو، فتزوجت زواجاً تقليديا، برجلٍ ناضجٍ يقاربُ سنَّ أبيها اختارته من بين العشرات، هو كلثوم بن مالك، أحد سادة بني تغلب.

تُسَجِّلُ لها كتبُ التراثِ قصة "فَيْشٍ" مع هند بنت الحارث بن آكل المرار، فكلا السيدتين كانت تقول في مجالسها إنها أشرف نساء العرب. أقسمت هند أن ليلى ستخدمها يوماً،

ووضعت خطة لذلك، بالتعاون مع ابنها ملكِ الحيرة عمرو بن هند (بن المنذر).

أقِيمَتْ "ندويَّةٌ" عظيمةٌ على شرف ليلى بنت المهلهل، وابنها عمرو بن كلثوم، وكانت الخطة تقضي بأن هندا ستصرفُ خدَمَها، ثم تتظاهر أنها تحتاج غرضا من المائدة، فتأمر ضيفتها ليلى أن تُناولها إياه، وبذلك يسجل التاريخُ أنها خدمتها.

قالت هند لليلي: ناوليني ذلك الطبق!

أجابت ليلى: لتقمْ صاحبةُ الحاجةِ إلى حاجتها..

فألحَّتْ هند؛

فشعرت ليلى بالـ"الحگره" وصاحتْ: واااااذُلاّه!

وحينما سَمِعَ عمرو بن كلثوم صوتَ أمِّه، فهم أن في الأمر "إنَّا" فاستلَّ سيفَ مضيفه الملك وقتله به.. وكانت مذبحةً حقيقية، أعادت رسمَ خارطة السلطة في الجزيرة العربية، وخرجتْ منها ليلى منتصرةً في صراع الجَميلتينِ على الفوز بـ"رأس النعامة".

ورغم انحيازي الأبديِّ للهنداتِ في أيِّ "اگباحٍ" يدخلنَه إلا أن هِندَنا هذه ـ على رِفْعَةِ شأنها ـ لم تخترْ منافساً سهلَ المراس.

ليلى الشاعرةُ الجميلةُ، التي حملتها الأقدار من رضيعةٍ محكوم عليها بالموتِ رَدْمًا، إلى سيدةٍ كاملةِ الحسن، مسموعةِ الكلمة، تتناقل الركبانُ سيرتها عبر دروبِ ومجالسِ الجزيرة العربية.

#المجد_للشاعرات

75

سَلَبَتْني الأنثى الجميلةُ الشاعرةُ المغنية حَبابةُ قبعةَ الراوي، وأجلستني على دكة البدلاءِ، وقررتْ أن تحكي قصتها بنفسها.. ولأنني لا أرفضُ للجميلاتِ رغبةً ولا طلباً، فقد تنازلتُ عن كُرسيِّ السَّاردِ، وجلستُ أنصِتُ.

ولدتُ بالمدينة المنورة، وتربيتُ في دمشق، تعلمتُ وأنا في مُقتبَلِ الأنوثةِ، ومَهبِّ النضجِ كلَّ ما يمكن لمُوَلّدةٍ مراهقةٍ أن تتعلمه؛ أتقنتُ الغناءَ، والعزفَ على العود، والرقصَ، وقرضَ الشعر وحِفظَه.

ويقولونَ كنتُ جميلةً، يمكنني أن أؤكد لكم ذلك، هكذا تقول صورتي في المرآة وفي عيونِ الناظرين إليَّ بلهفةٍ.

كَلِفَ بي كثيرونَ، ولا ألومهم في ذلك، فهذا هو دوري في الحياةِ، قِيمتي كانت تتحدد بمدى إتقاني لما كان يسمى حينها بـ"فنون المجالس"، ما يمكنني أن أسميه بلغتكم اليوم "فنَّ الإغواءِ البريء"، افهموها هكذا... أحبني يزيد حبا خرافيا دون مقدمات، كنت أرى الوَلَهَ راقصًا بين وجنتيهِ وتقاسيمِ وجهه، وكنتُ سعيدة بذلك..

هل كنتُ أحبه؟

في الحقيقة لم يكن أمري بيدي لأحبَّ أو أكرهَ أو أتخذَ موقفًا، كان قرارُ ذلك متروكا لمن يشتري "رقبتي"...

لا تستغربوا! لقد عشتُ في زَمنٍ تباعُ فيه الجارية وتشترى.. وأنا كنتُ جاريةً، نسيت أن أخبركم بذلك.

منذ المجلس الأول بدا يزيد مندفعاً في حبي دون قيد أو شرط، ولكنه تلقى نهْياً صريحًا، بصيغة تحذير من ابنِ أبيهِ الخليفةِ آنئذٍ سليمان بن عبد الملك، ولم يكن يعصي لسليمان أمرًا، إذ كان من المرجَّح أن يوليه خليفةً بعده (أو بعد ابنهِ أيوب)، ولكنَّه فاجأنا جميعا بتسمية عمر بن عبد العزيز!

تُرِكْتُ على ناصية الحبِّ، انتظارًا لموعدٍ ما قد يأتي يوما... وقد لا!

أولُ قرارٍ مَلَكيٍّ اتَّخذه يزيد بعد أن تولى الحكمَ هو استدعائي.. وجئتُ، وحينَ ضمَّنا المكانُ أيقنتُ أنني الحبيبةُ التي لا شريكة لها في قلبِ الخليفة، ولكنني ما زلت حتى الآن لا أدري هل أحبُّه حقًا... هل يحب الإنسان بلا حرية؟

وبدون أن أطلب شُيِّدَ لي قصرٌ ووضع تحت تصرفي خدمٌ وحشمٌ، وأصبحت الجارية السيدةَ المطاعة.

على امتداد أربع سنوات لم يكن يزيد يطيق فراقي ولو للحظاتٍ، كان يهجر أيَّ مكان لا يستطيع جمعنا معا، حتى إنه أصبح يتخلف باستمرار عن إمامة المسلمين؛ ورغم أنني أطالبه دائما بالتركيز على مهمته الأولى: تسيير شؤون السلطة والرعية ؛ إلا أنه أحيانا يمضي شهرًا دون أن يبرحَ باب قصري أو حتى باب حجرتي.

كنت أعرف أنني سأكون مِشْجبًا يعلق عليه الجميعُ أيَّ خلل في مجرياتِ الحكم.. وكنتُ ذلك المشجبَ فعلا!

مرةً أخرى أأُحِبُّه حقا؟

وهل تحبُّ امرأة تُعاشَرُ بلا عقد زواجٍ، حتى ولو كان "زواجا عرفيًا"؟

لا يهم... المهم أنه يحبني ولا يطيق فراقي.

كان لنا قصرٌ في مدينة إربد (في الأردن حاليا)، سافرنا إليه للاستجمام بعيدًا عن ضوضاء العاصمة دمشق وصخبها... كان الخليفة يخدمني بيده، وفي ذلك اليوم الساحر، ونحن نتعاطى مُتعَ الحياة ونرتَشفُ زلالَ الحبِّ بشغفٍ ناولني رُمانةً، يعرفُ كم أعشقُ الرُّمانَ..

و بين ثنايا الكلام والملاطفةِ والظحك، يبدو أنني شَرِقتُ!

إنني لا أرى، لا أستطيع التنفس.. أين أنا؟

ثم صمتٌ مطبق!

فاضت روحُ حبابة، ويقالُ إن يزيد انكبَّ عليها يقبلها ويشمها يومينِ غير مصدق أنها توفيت، رافضاً دفنها... ثم مرضَ ولم يعد إلى دمشق إلا محمولًا على أكتاف الرجال؛ ثم لحق بحبيبته بعد أقل من أسبوعين، و لم يسجل التاريخ قبل ذلك أو بعده أن خليفةً ماتَ عشقًا إلا يزيد بن عبد الملك بن مروان.

#المجد_للشاعرات

76

أسماء الكلبية، شاعرةٌ فاتنةٌ أحبت الجعدَ بن مهجع العذري وأحبها، وكان قبلها فتى طائشًا، يكفي أنه كان رفيق عمر بن أبي ربيعة في مجالس الطرب والغزل و"التحرش" بجميلات العرب في مواسم الحج.

كان اللقاء بين الحبيبين غرائبيا جدا، فبينما الجعد يأخذ قسطًا من الراحة ضُحًى تحتَ ظل شجرة، إذ رأى ذاك الفارس الذي يطارد غزالًا حتى تمكن منها غير بعيد من الشجرة التي يستظلها، فتبادلا التحية واشتركا شواءً وشرابًا وحديثًا في الشعر وأنسابِ العرب.. والجعدُ يستغرب ويستعذبُ جمالَ هذا الفتى وصوتَهُ "المستنثي"، ومع ذلك لم يشك في رجولته... وحين انتهى الحديث وآذنا بالانصرافِ تواطأتْ زوبعةٌ ريحٍ خفيفةٌ و طرفُ ثوبِ الفتى ليكشِفا عن نصف نهدٍ لم يتركْ هامشًا للشك...

الفتى هو الشاعرة أسماء الكلبية متنكرةً في ثوب أخيها، لتمارس هوايتَها في الصيد دون ضجيجٍ.. وحينما اكتشفَ أمرها، أخبرته بمن تكون، فحاولَ التقرب إليها أكثرَ، فنصحته ألا يحاول لئلا يصبح هدفًا لنبال إخوتها وسيوفهم، ثم أردفت: "إني والله أريد أن أسرك لا أن أضرك، فامضِ لحالِ سبيلك"

ثم اعتلت صهوةَ جوادها وانطلقت دون أن تترك له فرصة للغزلِ، أو لأخذ رقم هاتفها على الأقل.

ولكنه لم "ينتفش"، ولم يعد خالي الوفاض، فقد طاردها حتى عرف "امْنازلْ لفريگْ"..

يبدو أن النهدَ المثيرَ و المجلسَ العابرَ تركا إعجابًا في قلب الجعد، نما مع الوقتِ حتى صار رغبةً فشغفًا، فحبا، فصبوةً، فعشقًا، فولهًا، فكلفًا، فغرامًا، فهيامًا فخُلةً، فحلولاً، فذهولًا، فكشقًا فامِّحاءً، فعطشًا دائما على امتداد زهاء عام..

كانت أسماء تحتله، وتسيطر خيالاتُها على تفكيره، حتى نحل جسمه وأصبح ساهما؛ وحينَ التقاه صديقه الأثير عمر بن أبي ربيعة في الحج المقبل لاحظ أنه لا يشاركه "البطش" رغم كثرة الجميلات؛ وعرف منه أن قلبه ورغبته في الحياة اختطفتهما شابةٌ جميلة ترتدي ثيابَ الرجال وتطاردُ الغزلانَ على صهوة جوادٍ وذاتُ شعرٍ قصير.

انتهى موسم الحج فركب الجعد و ابن أبي ربيعة ناقتيهما، وحملا معهما صداقا، وانطلقا إلى مضارب الكلبيين. قدم عمر نفسه وصديقَه فأكرِما، كما يليق بمخزوميٍّ وعذريٍّ؛ وحينَ أفصحا عن غايتهما انتظرا على نارٍ جوابَ الرجل الوقور.. وفي الأخير استدعى ابنته للتشاور معها، فهو يعلم ألا رغبة لها في الرجال لكثرة ما صدت من خطاب، ولكنَّه لا يريد أن يصدم الخاطب بجواب سريع، فآثر أن يكون "أوبن مايند"، ويستشير ابنته على الملأ حتى يتخلص من الحرج أمام ضيفيهِ؛

غير أن أسماء عندما رأت خاطبَها الجديدَ فجَّرت مفاجأةَ القبولِ بين ذويها...

وتم الزواج.

بعد أن أفاقا من سكرة اللقاء الجسدي الأول؛ أبدت أسماء لحبيبها حبا عظيما، وصارحته أنها أحبته من النظرة الأولى، فتساءل لماذا لم يبدُ عليها ذلك آنئذٍ...

فردتْ شعرا:

كتمتُ الْهوى لمّا رَأَيْتُكَ جازعًا

وَقلتُ فَتى بعضَ السرُور يُرِيد

وَأَن تطَّرِحْني أَو تَقول فُتيَّة

يضرّ بهَا برحُ الْهوى فتعودُ

فورّيتُ عمّا بِي، وَفِي دَاخل الحشا

من الوجْدِ بَرْحٌ فاعلمنَّ شَدِيدُ

كل ما في الأمر أن أسماء أثارها الجعد كما أثارته، وعَلِقتهُ كما علِقها، ولكنها ركنتْ إلى شيء من "لكعاد عل شي"... وراهنتْ على انتظارِ عودة حبيبها ثانيةً، و كسبت رهانها مع نفسها، ومع الحب و الحياة.

بالرفاء والبنين و.......... البنات!

#المجد_للشاعرات

اليوم نخوضُ تجربةً شعريةِ، جمالية، روحية و ثورية، ونحن في حضرة الشاعرة طاغيةِ الجمالِ والحسن والهيبة سكينة بنت شهيد كربلاء الحسين بن علي كرم الله وجهه، حفيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحبها ابن عمها عبد الله بن الحسن، وأحبته، وتزوجا، واستشهد في موقعة كربلاء قبل أن يدخل بها؛ ورغم تواتر هذا الزواج في كل المراجع، إلا أنني أقفُ عنده وقفة تساؤل، خصوصا أن عبد الله بن الحسن استشهد مع عمه في كربلاء، وهو في الحادية عشر من عمره.. فكرتُ أنه ربما كان عقدا بين أبويهما في انتظار أن ينضجا!

أقول ربما !

بعد استشهاد والدها الحسين تنادى إليها رجالات الحجاز قاطبة، للزواج بها، وكانت ترفضهم تباعا، وبعد سنوات خطبها مصعب بن الزبير الذي كان يلقب بآنية النحل لفرط كرمه جوده، وكان حينها واليا على العراق بتكليفٍ من أخيه عبد الله بن الزبير؛

فقبلت، ولكنَّه استشهد في إحدى مواجهاته مع عبد الملك بن مروان بعد زواجهما قليلا.

بعد مصعب عادت إلى ممارسة هوايتها في رفض الخطاب، وأعتقد شخصيًا أنه كان رفضًا واعيًا، ذا دلالة سياسية احتجاجية واضحة.

بعد فترة "صوم" طويلة راجعت موقفها من الزواج، خصوصا بعد "التطبيع الجزئي" مع الأمويين أيام سليمان بن عبد الملك و عمر بن عبد العزيز ، وقررت اختيار شريك حياة على طريقتها وبأسلوبها الذي ينم عن امرأة ثائرة وشخصية قوية.

يقال إنها أول امرأة تشترط في عقد الزواج أن "لا سابقة ولا لاحقة"، فمن بين شروطها مثلا:

ألا يتزوج عليها و ألا يلمسَ امرأة سواها، حلالا أو حراما،

ألا يحول بينها وبين ماله كله،

وأن يترك لها حريتها في كل ما يتعلق بالرأي والعبادة (فلا تستأذنه عندما تريد الحج مثلا كما تفعل كل النساء في عصرها)

فإن أخل بأحد الشروط فهي منه خلية، بصيغة أخرى "أمرها بيدها"

تزوجها زيد بن عمر العثماني و كان بخيلا، فصبرت على ذلك الشرط وتغاضت عنه، ولكنه عندما ضاجع إحدى جواريه؛ طلقت نفسها ومضت.

فطلبها عند القضاء، فأمرها القاضي أن تجيء ببينة على ادعائها، وإلا سيطلب اليمين من زوجها.. ولما لم يكن عندها شهود حضروا "موقعة الخيانة"، خاطبت طليقها قائلة:

"يا أبا عثمان، تزود منى بنظرة فلن ترانى والله بعد الليلة أبدا"

و"ربطت نعايلها" وغادرت..

سكينة هي أول من أطلقت "صالونا أدبيا"، حيث كان الشعراء يجتمعون إليها يتدارسون الشعر، منصتين إلى آرائها النقدية، ومسلمين بحكمها على قصائدهم.

وكانت إلى ذلك شاعرة مطبوعة .

أخيرًا أنوه أن الكتابة عن آل البيت أمرٌ شائك تاريخيًا؛ فالمصادر تتناقض وتتضارب بشكل "مقلق".... ثم إنني أحبهم ومنحاز إليهم بلا قيد أو شرط.

ومهما يكن فإن سكينة كانت أديبة وذات شخصية قوية ولها رؤية وحصافة في الرأي.. وكانت أنثى جميلةً جدا جدا جدا!

#المجد_للشاعرات

قُتيلة بنت نوفل بن أسد، شاعرةٌ جاهلية عُرفت بالجمال، والغنى الفاحش، وكانت إلى ذلك من النساء القلائل المتعلماتِ في مكة وفي قريش كلها، ويقالُ إنها كانت تعتنق الحنفية مذهبًا.

قتيلة سيدة أعمال ناجحة، كانت تتمتع بشخصية فريدة، تشتغل بالتجارة ولها اليد الطولى في رحلتيْ الشتاء والصيف إلى اليمن والشام. كانت مترفعة على الرجال، فلها مشاغلها وانشغالاتها المهنية والفكرية، أو ربما تريد أنْ تنتقي رجُلها بمواصفاتٍ خاصة.

الجمالُ والعلم والمال يورثون "طولَ العين" لا شك!

تقول المرويات إن عبد الله بن عبد المطلب مر بها، فخطف قلبها بلا مقدمات، فاعترضت سبيله وقالت له بشكل صريح، ودون مواربة إنها تريده زوجًا في الحال؛ فوجئ عبد الله بهذا العرض المغري، خصوصا أنها أردفت:

"لك من الإبل مثل التي نُحرت عنك (وذيكْ ميَّه) و قعْ عليّ الآنَ الآنَ وليس غدًا"

ولأن عبدَ المطلب، والدَه، كان في انتظاره فلم يستطع أن يتأخر أكثر، ولكنَّ عرضها علق بذهنه، كيف لا وهو عرضٌ من "سوبر ستار" يتزاحم الرجال على بابها طلبًا لـ"القرب".

مضى عبد الله لقضاءِ ليالٍ ثلاث مع زوجته آمنة بنت وهب كما هو مقدر ومكتوب في علم الغيب، ثم عاد إلى موعده المُتَمَنَّى، ولكنَّ قتيلة استقبلته ببرودٍ يُناقض اللهفة التي رآها في عينها أول مرة.. ثم بنفس مقدار صراحتها الماضية، واجهته بالحقيقة الصادمة؛ أنها

رأت نورا على محياه، دفعها إلى اختياره زوجا، والآن لم يعد لذيَّاكَ النور أثر...

وهذه المرة هي التي مضت!

ملاحظة:

القصة برُمَّتها تُروى أيضاً عن فاطمة بنت مر الخثعمية، وإن كنت أميل إلى المصادر التي تقول بقتيلة.. دون أنْ ننسى الرأي القائل أن القصة لم تحدث أصلا!

كتبت قتيلة نصًا شعريًا في هذه الحادثة، أوردُ منه هذا البيت الذي يختصر الواقعة كلها:

ولما قضتْ منهُ أمينةٌ ما قضتْ

نبا بصَري عنه وكلَّ لساني

قتيلة بنت نوفل كانت امرأة مثقفة أتقنت العبرانية وقرأت كتب النصرانية واليهودية وتبحرت في التاريخ تماماً كشقيقها ورقة بن نوفل، الفرق بينهما فقط أن ورقة نذر نفسه للعلم، وقتيلة مزجت بين العلم والمال، فكانت سيدة مسموعة الكلمةِ مطاعةً في قومها.

لا تنافسها في الجمال والمعرفة امرأةٌ في الجزيرة العربية كلها، ولا تنافسها في الثراء والتجارة إلا ابنةُ عمها، أمُّنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

#المجد_للشاعرات

هذه المرة تدعونا الشاعرةُ الجميلةُ جيداءُ الهلالية إلى مرافقتها في تفاصيل قصتها مع العشقِ والحرمان.. وقد لبيتُ الدعوةَ باسمكم!

أحبَّت جيداءُ الشاعرَ بشراً ابنَ عبد الله الهلالي المعروف بالأشتر وأحبها، وتقاسما حبهما خلسةً مع القمرِ في ليالي نجدٍ، وحينَ حَصْحصَ الحقُّ وأرادَ القلبانِ ترْسيمَ هذا الحب، كان القمرُ قد وشى بهما لدى كهول القبيلة، أعداءِ الحب، فقالوا:

لا زواجَ بين عاشقينِ.. قُضيَ الأمرُ الذي فيه تستفتيانِ أيها الكائنانِ "الأزرقانِ".

أيستسلمُ الحبيبان؟!

لم يكن ذلك مطروحاً على أجندتهما، لذلك استلَّ الأشترُ سيفَه ونادى "عصرَتُهُ" لمناصرتِهِ فاستجابَ بعضهم، على رأسهم صديقه الوفي وكاتم سره نمير بن قحيف الهلالي..

قالوا اقتلونا أو زوجوهما!

وبعد مفاوضات فاشلة انطلقت شرارةُ قتالٍ سقطَ على إثره ضحايا وجرحى، وكانت القبيلة لتفنى عن بكرة أبيها لولا أن برزَ صوت الحكمةِ، فقيل أوقفوا القتال وانفوا الأشترَ ورهطه بعيداً، وتبرؤوا منهم ومما يوفكون.

فكان صوتُ "هيئة الحكماء" أعلى من صليلِ سيوفِ "كتيبةِ الحب".. فنُفيَ العاشقُ!

ولكي تكتمل المأساةُ، بمجرد خروج الأشتر من الحي حقناً للدماء، زُفَّتْ حبيبتُه جيداء غضبا عنها إلى رجل آخر... وبعد أسابيع لم يستطع العاشق إلا أن تظل "عينُه في قفاه"، فأسرَّ إلى خِلِّه ورفيقِ منفاه، نمير أنْ دبِّرْ لي زيارةً أرى فيها عيونَ جيداء ولو من بعيد، وإلا سيقتلني الشوق.

قال نمير: هيا بنا إذن...

يا لروعة الأصدقاء!

على بعد شوقين ألقى العاشقُ المسكينُ جسَدَه بين الأشجار، وترك قلبه يرتمي في حضن حبيبته التي يتراءى له قوامُها من بعيد. تدبَّرَ نمير أمره حتى بلَّغَ رسالةً مشفرةً لجيداء تقول: إنه من الأشتر وإنه بِسْم الله الرحمن الرحيم، أنا هنا، وهذه إحداثياتي، فانظري ما أنت فاعلة.. ولم يكن هناك احتمال آخر إلا أن تنتظر غروبَ الشمسِ وتنتهز فرصة "اظّليمتْ المغرب" لتلتحقَ بحبيبها.

أراد نمير أن يبتعدَ ليترك للعاشقَينِ المشتاقينِ فسحةً لما يريدان، ولكن جيداء أوقفته، وأوحت إليه أن لقاءهما لا يحتاج لخلوةٍ.. فكان ثالثَ اثنين تخنقهما العبراتُ ويذبحهما الشوقُ ويلجمُهما التوقُ..

ثم بدأ الوقتُ يكونُ أسرعَ من وجيفِ قلبيهما، فكان لا بد من خطةٍ لإبطاء الوقتِ وتمطيطِ اللحظة.

فجأةً اختبأتْ جيداء خلفَ شجرةٍ وخلعت ثيابها، وطلبت من نمير أن يبادلها ما يرتديه... كانت الخطةُ واضحةً في ذهنها، فبعد صلاة العشاء عليها أن تكون "امتقْنَه" أمام خيمتها، سيطلبُ منها زوجها أن تناوله "التاديتْ" ستفعلُ بتبرمٍ، وبعد دقائق سيعود بالحليبِ، ستتناوله منه، تفرغه في إنَاء آخر

دون كلام؛ وكان على نمير أن يؤديَ هذا الدور البسيطَ بحذر ؛وهكذا تمضي هي وقتًا إضافيا مع حبيب القلب.

سارت الخطة بنجاح، ولكن في الوقت الذي كان فيه الحبيبان يتناجيان أخطأ نمير الذي يلعب دور جيداء في تناول "التاديت" فانسكبَ الحليبُ على الأرض.. وكانت تلك هي القشة التي فجَّرت غضب الزوج الذي تحرمه جيداء من حقه الشرعي وتغلظ له القول وترفض أن تكون له زوجة في الفراش والملاطفة، فاستغلَّ حادث انسكاب الحليب وصاح بها: "إنَّ هذا لنشوزٌ مُفرِطٌ يا جيداء"، ثم أخذ سوطاً وجلدها ثلاثينَ جلدةً، "حَكَّها" نمير في جلده، وليس له إلا أن يفعل..

ونجح الحبيبان في سرقةِ هذا اللقاء الحميميِّ داخلَ عرين القبيلةِ، ولم نسمع عنهما خبراً بعد ذلك، و حتى شعرهما لم يُحفظْ!

إلا أن داوود الأنطاكي الذي عاش بعدهما بستة قرون أورد نهايةً مأساوية، يدعوني التعاطفُ مع الحبيبين ألا أصدقها، لأنهُ الوحيدُ الذي ذكرها؛ حيث قال إن الأشتر بعد شهر من ذلك اللقاء الأسطوري علمَ بموت جيداء، فمات في مجلسه ذاك، ليكتشف صديقه لاحقا أن الخبر كان مزيفا، وحين وصل نعيُه إلى جيداء جُنَّت،وحلقت شعرها، ولم تنفعها تميمةٌ ولا رقيةٌ، وفي الأخيرِ رمت نفسها في بئر عميقٍ فماتت منتحرةً.

جيداء عاشقةٌ عظيمةٌ أحبت وقاومت وتحدَّت وجازفت، ولكن المجتمعَ كان أقوى.. المجتمعُ غالبا أقوى من مشاريعِ الحبِّ وطموحاتِ العاشقين.

#المجد_للشاعرات

80

ليلي العقيلية شاعرةٌ عاشت بالجزيرة العربية في القرن الأول الهجري؛ أحبت صخراً حبا عظيما وأحبها، وارتشفا رحيقَ الغرام معاً قطرة قطرة... ثم أوشكا أن يفقدا كل شيءٍ دفعة واحدة.

لم يكن والدُ صخر يحبُّ ليلى، فزوَّجَ ابنَه بامرأة من الأزد لحاجة في نفسه ترمي إلى تحالف القبيلتين، وأقسم عليه أن يقبل هذا الزواج، وإلا فهو منه براء.

فشل صخر في الدفاع عن حبه، وتخلى عن حبيبته مُكرها في أول نزالٍ..

تم الزواجُ فوقع الخبرُ المفاجئ صاعقةً على ليلى، ولكنها صبرت على مضض وحزن، و اتَّكأتْ على جبلِ كبرياءٍ كان بحوزتها، وحضرتْ العُرسَ في كامل "اتشوبيبها".

لم يدخل العاشقُ بزوجته، أجَّلَ ذلك إلى حينٍ، وتحجج بأسباب واهية، وتفرغ للحزن والندم، فهو متأرجح بين حبيبةٍ مُفارقةٍ، وأبٍ يضعُ برورَهُ على المحكِّ، وعروسٍ تنتظرُ "الدُّخلة" بفارغ الأنوثة والشغف، ومجتمعٍ كاملٍ بدأ يُشَكِّكُ في رجولته.

ثم إنه مرض مرضا شديدا، فقالتْ نساء الأزْدِ في مجالسهنَّ إن ليلى سحرت زوجَ ابنتهم...

محاولةً للخروج من هذه الحالة المرضية المُميتَةِ أرسل صخر إلى حبيبته ليلى رسالةً سرية يطلب اللقاءَ، كي يسترد روحَهُ وجسده الدَّابِلَ.

كتبتْ ليلى هذا الرد الساخن:

تَعْساً لمَنْ لِغَيرِ ذَنبٍ يَصرِمُ
قَد كُنتَ يا صَخر زَمَاناً تَزْعُمُ
أنّكَ مَشغُوفٌ بِنَا مُتَيَّمُ
فَالحَمدُ للهِ عَلى مَا يُنعِمُ
لمّا بَدا مِنكَ لَنَا المُجَمجَمُ
وَاللهُ رَبّي شَاهدٌ قَد يَعلَمُ
أنْ رُبَّ خِطبٍ شَأنُهُ يُعَظَّمُ
رَدَدتُهُ، وَالأنفُ مِنهُ يُرْغَمُ

واضحٌ أن ليلى "محرورةٌ" من فعل الفتى، ونادمةٌ على كل الخطاب والعاشقين الذين أوقفتهم عند حدهم، وهاهي تُخانُ ببساطةٍ وبرودة دمٍ ثم يُطلَبُ لقاؤها بعد ذلك...

رد صخر:

فهمتُ الذي عيّرْتِ يا خِيرَ مَن مَشَى
وَما كانَ عن رَأيي وَما كان عن أمرِي
دُعيتُ فلم أفعل، وَزُوّجتُ كارِهاً

وَما ليَ ذنبٌ، فاقبلي وَاضِحَ العُذرِ

فإنْ كنتُ قَد سُمّيتُ صَخراً، فإنّني

لأضعفُ عن حَملِ القليلِ من الصّخرِ

وَلَستُ، وَرَبِّ البّيتِ، أبغي مُحَدَّثاً

سِوَاكِ، وَلَوْ عِشنا إلى مُلتَقى الحَشرِ

فكرتْ ليلى، ثم اتخذت قرارها، وأوحت لحبيبِ القلب أنها ستسامحه بشرط واحدٍ، أن يجعل أمرَ زوجته بيدها هي تطلقها منه متى شاءت؛ ولم تكن الرغبة المتأججة في قلب صخر تتيح خيارا آخر إلا قبول الشرط..

قالت ليلي: (طابت نفسي) وضربت له موعدا، بعيدا عن عيون الوشاة.. التقيا فتناجيا وتشاكيا وتباكيا واستعادا نبضَ الحب..

ولا حاجة للقول إن "صيْدتْ الأزد" أمست طالقا بالثلاث... وكان على صخر أن يجد مبررا يواجه به والده؛ الذي بادره قائلا:

- يا صخر ألا تبني بأهلك فقد طال الانتظار؟

قال له:

- لا أستطيع أن أبني بها، فقد بانت مني عصمتها في يمينٍ حلفت بها.

فأكرمها حموها و "صَيْقَطها" معززةً إلى أهلها!

لاحقا فهمَ الأبُ أخيرًا تعلُّقَ ابنِهِ بليلى، فتنازل عن رفضه.. وزُفَّ الحبيبان إلى بعضهما..

بعد ذلك كتبت الزوجةُ المطلقةُ قبلَ الدخول بها شعراً تهجو ليلى ومن بعدها قبيلتَها، ولم تكن ليلى "مقطوعة اللسان" فردَّت هي الأخرى بشعرٍ وأقذعت... وواصلتا تبادل الشتائم حتى تدخل الحكماء من عقيل وأزد وأنهوا هذا "لگطاع" الفاحش، وطويت الصفحة.

وعاشت ليلى وصخر في كنفِ بعضهما، ثالثهما الحب، ورابعها المستقبل الفسيح!

ليلى شاعرة أحبت وكادت أن تفقد حبَّ حياتها على يدِ أبٍ يبحث عن مصلحة القبيلة، وحبيب سقطَ في أول اختبار..
الحبُّ يكون منصفاً أحيانا وقد كانت ليلى من المُنْصَفين.

#المجد_للشاعرات

اليوم نجالسُ أمَّ خارجة، عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة، التي حطمت الرقم القياسي في سرعة الزواج، فيقال في أمثال العرب: "أسرع من نكاح أم خارجة"..

أم خارجة بجيلية، وقبيلة بجيلة معروفة بجمال نسائها. وقد أضافت إلى جمالها قبولاً و "نصرةً" عند الرجالِ، ثم حققت لاحقا سمعةً حسنةً و متابعين على مختلف "وسائل التواصل الاجتماعي" أنها تلكَ المرأة الجميلة المزواج..

لم تكن أم خارجة امرأةَ البروتوكولاتِ و المراسيمِ و"المطولات"، فقد تكون جالسةً في "بلكونة" خيمتها، أو تتمشى في بعض مهمامها، فيأتيها الرجل ويقولُ: خِطْبٌ (اختصارا لـ"إني جئت خاطبا)؛

فـ"تَزْرِگُ" عليه عينها فإذا "نزّلتهُ" تقول: نِكْحٌ!

بمعنى قبلتُ نكاحكَ.

وباقي التفاصيلِ الصغيرةِ من تعارفٍ و مهرٍ وتفقةٍ وديكورِ المنزل وأسماءِ الأبناءِ... يُتَحدَّثُ فيها بعد الدخلة أو ربما أثناءها!

وكانت لها علامةٌ واضحةٌ يعرفها كل "طالب حلال" أنها عندما تكون راضيةً بالبقاء مع الزوج بعد ليلتها الأولى، تدخلُ "الكوزين" وتعدُّ له طعاما.. فإذا لم تفعل ذلك، يعرف

الزوج أنه طالق، فيحزم أمتعته ويرحل.. أما إذا أولمَتْ فمعناهُ أن هذا البعلَ قد تأهَّلَ للدورِ المقبل، ويحق له البقاءُ وقتا أطول من مجرد ليلة.

شائعٌ أنه كان في الجاهلية نساءٌ يطلقنَ أنفسهن، فإذا تزوجت إحداهن رجلاً وأصبحت عنده، كان أمرها إليها، إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت، ولكنني لا أعرف لماذا وكيف ومتى يحق لامرأة الحصول إلى هذه المرتبة؛ والتفسير الذي يقدمه رواة التراث أنهن كن شريفات وعزيزات في قومهن، وهذا في نظري ليس سببا كافيا، المهم أن أم خارجة كانت من بينهن، ومنهن أيضا مارية بنت الجعيد العبدية، عاتكة بنت مرة بن هلال السلمية، فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، و سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد، وهي أم عبد المطلب بن هاشم جد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

تزوجت أم خارجة نيفا وأربعين رجلاً من كل القبائل، وكانت أمًّا لعشرين بطنا من بطون العرب، كما ذهب إلى ذلك الزركلي في أعلامه، وقبله الأصفهاني في أغانيه، والمفضل الضبيُّ في أمثاله.

يقالُ، تفسيرا لكثرة زيجاتها، إن رجالها لا يستطيعون الصبرَ على عريضةِ مطالبها من "الباءة"، فتطلقهم..

أم خارجة سيدةٌ لا تغفر للرجل أن يقصُر دون سقفِ انتظارها!

أغلب أزواجها استمروا عالقين في حبها، يقتاتون على ذكراها وذكرى أيامهم الجميلة معها.

نذكرُ من بعولتها بكر بن يشكر بن عيلان؛ عمر بن ربيعة المزيقي؛ بكر بن عبد مناة الكناني؛ مالك بن ثعلبة بن أسد وعامر بن عمر من قضاعة..

أما أكثرهم بقاءً معها فهو عمر بن تميم، تزوجها بعد أن تجاوزت الأربعين ومكث معها ست سنوات؛ حاول أبناؤها الوقوف أمام هذه الزيجة ولكنهم تأخروا قليلا.

إذ يحكى أنهم انتبهوا إلى ذلك الفارس الذي يدخل الحي ويتجه إلى خيمتهم، ففهموا أنه ربما جاء ليتزوج أمهم، فقرروا منعه، ولكنه سبقهم لأنه راكب وهم مشاة.

فقال لها: إنَّ فيك لبقية

فقالت: إن شئتَ...

فقال: خِطبٌ

فقالت: نِكْحٌ

فلما وصلوا كان قد أوشك أن يبني بها..

ففوضوا أمرهم و "خلاوْ شي يفوت"!

في الحقيقةِ عندما كبر أبناؤها أصبحَ هذا الموضوعُ يضايقهم، فكانوا يهددون كل خاطب جديد ويحاولون الحيلولة بينها والرجال، ومع ذلك استمرت في مشوارها ولكن بمعدل أقل.

يقال إنها أدركت الإسلام في أواخر عمرها وأسلمت، ولكنَّه قولٌ تعوزه الأدلة.

أعتقد أنها كانت تحبُّ بكر بن يشكر، وهو من أوائل أزواجها و أبو ابنها خارجة، فقد تعلقت به كثيرا ورثته عندما توفي؛ وربما هي في رحلتها كلها إنما تبحث عن من يسدُّ مكانَ بكرٍ؛ فعندما نفقدُ حبيباً نبحثُ عمَّن يشبهه دون أن نشعر... هذه نظريتي الخاصة فيما يتعلق بـ"ظاهرة أم خارجة".

ربما!

وربما أم خارجة مجرد شاعرةٍ ذوَّاقةٍ، والذواقة هنا وصف يخصها هي، ولا علاقة له بالذائقة الأدبية... تتذوق من كل نحلٍ عسلاً وتمضي.

فقد كانت كازانوفةً، قوية الشخصية، واثقة الخطى، محبةً للرجال، سريعةً في الارتباط فلا تنتظر لحظةً، حازمةً في الانفصال فلا تنظر خلفها.

#المجد_للشاعرات

اليوم سنتوقف مع صورةٍ من صور الحب عندما يكون مُمِيتًا، نحن في حضرةِ الشاعرة الجميلة غادر، إحدى نجماتِ قصور الخلافة العباسية إبان مرحلة ما بعد التأسيس.

كانت غادر مضرب المثل في الحسن والظرافة، تجمع بين البراعة في تأليف الشعر والغناء والعزف على العود، ولها صولات وجولات في الرقص و ارتجال القصائد والألحان..

أحبَّها الخليفةُ موسى الهادي حبًا عظيما، وأحبته حبا مضاعفا... وتزوجا!

يقال إنهما كانا كروحٍ واحدةٍ تعيش في جسدين، كانا يستشعرانِ بعضهما عن بُعد، ويعيشان حالةً من التفاهم والانسجام والالتحام والتماهي قلَّ مثيلها؛ عندما تبدأ غادر الغناءَ تغني مباشرة ما يدور في خلدِ الهادي، دون أن يقول شيئا، وحين يرغبُ في رؤيتها تدخلُ مباشرةً كأنه نادى عليها..

في أحد الأيام والخليفةُ في مجلسه بين وزرائه الخُلَّصِ بدا لهم كمن غابَ رغم حضوره، أو من نام رغم عينيه المفتوحتين؛ وحين عاد من هذا الغياب الروحي البعيد؛ صارحهم أنه رأى مشهدا مزيجا بين الواقع والحلم..

رأى جسده يموت ويوارى الثرى، ويتولى الرشيد الحكم من بعده ثم يتزوج حبيبتَه غادر...

جن جنونه فأحضرَ الحبيبة والأخَ، واستحلفهما بالله ألا يتزوجا وأن لا يقترفا أية مُجاسَدَةٍ مهما حصل، وأخذَ منهما عهداً وأيمانا مغلظة ألا يفعلا ذلك تحت أي ظرف.. وبعد شهرين أسلم موسى الهادي الروح لباريها.

تولى هارون الرشيد مقاليدَ الحكم، وحينَ استتَبَّ الوضعُ طلب "الشَّبيبة" غادر، رغم القَسم وذكرى شقيقه، ورغم سطوة زبيدة (زوجته) وتحذيرات الخيزران (أمه وأم موسى)؛ قال لها إنه يريدها، وسيُكفِّرُ عنه وعنها لقاء الأيمان التي حلفاها.... وتزوجا!

احتلت غادر، لجمالها وسحرها وخبرتها في فنون "المجلس" والموسيقى والأدب، مساحةً كبيرة في حياة الرشيد، وأصبحت مقربة منه لا يستطيع الصبر على فراقها..

وفي إحدى الليالي رأت غادرُ كابوسا، واستيقظت مفزوعةً، وقالت للرشيد إنها حلمت بالهادي وهو غاضب و يردد:

أخلفتِ عهدي بعدما
جاورتُ سكانَ المقابرْ
ونسيتني وحنثتِ في
أيمانكِ الكذبِ الفواجرْ
ونكحتِ غادرةً أخي

صدقَ الذي سماك غادرْ
أمسيتِ في أهل البلى
وعُددتِ في الموتى الغوابرْ
لا يهْنكِ الإلفُ الجديـ
دُ ولا تدرْ عنك الدوائرْ
ولحقتِ بي قبل الصبا
حِ وصرتِ حيثُ غدوتُ صائرْ

حاول الرشيدُ التخفيفَ عنها، وإقناعها أن هذه مجرد أضغاث أحلام.. ولكنها ظلت ترتجف، حضر الأطباء والحكماء فلم يستطيعوا الحيلولة بينها وبين الرحيل... التحقت بالرفيق الأعلى قبل أن تشرق الشمس.

غادر الجميلةٌ المحبوبةٌ أصابتها لعنة الحب؛ ليسَ هناكَ حبٌّ ينتهي بموتٍ أو بفراقِ الحبيبين.

#المجد_للشاعرات

صباحُنا اليوم مع الشاعرة المغنية الخُلاسيَّة الفاتنة سلَّامة، المعروفة بسلامة القس، نسبة إلى القس الزاهد الذي عشقها حتى اختلطت أوراقه.

تُروى عنها قصة حب مشهورة مع عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي المعروف بالقس، أطلق عليه هذا اللقب لأنه كان ناسكا، زاهدا عابدا، استمر على ذلك حتى التقط سمعُهُ صدفةً صوتَ سلامة وهي تغني في دار أحد أثرياء مكة وهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف (ذ اصَّ هو الي التبطرين مخليهلو papa فالدبش، فهو ابن الصحابي الجليل الثري عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) ، فوقف مليا ينصت؛ ثم انقلبت حياته رأسا على عقب..

علقها فخَفَّض ساعات العبادة، واستحال نسكه حبًا و زهده شغفا وصلاته موسيقى.. لقد أخذت سلامة روحه وأعادت تشكيل أولوياته، فانساق خلف جمالها الساحر وصوتها الشجي.. ويقال إنه اكتفى منها بالسماع والنظر ولم يتجاوز ذلك.

صرح لها مرة أنه يحبها، ولكنه يحب الله أكثر، وأقصى طموحه لذة العين ومتعة الأذن.

ولما لامه رفاق الزهد في هذا الميول الجديد الذي اعتبروه مُجونا، وتساءل هواةُ الطرب والغناء كيف يمكنه أن يعشقُ وهو عابد زاهد قال:

قالوا أحبَّ القسُّ سلاّمةً

وهو التقيُّ الوَرِعُ الطاهرُ

كأنه لم يَدْرِ طَعْمَ الْهوَى
والحب إلا الرجلُ الفاجِرُ
يا قَومِ ، إني بشرٌ مثلكم
وفاطِري ربكمُ الفاطِرُ
لي كبدٌ تهفو كأكبادِكُمْ
ولي فؤادٌ ـ مِثلكمْ ـ شاعِرُ

ظل الحب والنسك يتصارعان و سلامة "مدليه لعراش" تنتظر الحسم إلى أن قررت دمشق، عاصمة الأمويين أن تستأثر بهذه الثروة الجمالية، فتغير عنوانُ سلامة من الحجاز إلى الشام، تحديدا قصر يزيد بن عبد الملك.. وبقي الحبيبُ الزاهد "يُحَمِّسُ الخرجانَ"

يبدو أن القس أصبح "متعوييبيده دائما"، فلم يعد باستطاعته الاستغناء عن صوتٍ جميلٍ ووجه صبوح فأحب ريا، بعد أن رحلت سلامة، يقول الشاعر المبدع قيس الرقيات (وقد سمي كذلك، لأنه أحب ثلاثَ نساء كلهن تسمى رقية):

لقد فتنتْ ريًّا وسلَّامةٌ القسَّا
فلم يتركا للقسِّ عقلاً ولا نفساَ
فتاتانِ أما منهما فشبيهةٌ الـ
هلالِ وأخرى منهما تشبهُ الشمساَ
تكنانِ أبشاراً رقاقاً وأوجهاً
عتاقاً وأطرافاً مخضبةً مُلساَ

عندما توفي يزيد حبًا وكمدا بعد وفاة حبيبته حبابة، رثته سلامة بقطعةٍ بُكائيةٍ من أفضل وأرق ما قرأتُ في الرثاء.

عاشت مدللةً في كنف الأمويين، فنانة القصور الأولى وجميلة الشام التي لا مثيلَ لها، وتوفيت أثناء حكم آخر خلفاءِ بني أمية في دمشق، مروان الحمار.. فبكتها الشآم كلها.

سنة 1944 جسدت كوكبُ الشرق أم كلثوم شخصية سلّامة في فيلم بنفس العنوان مستوحى من قصتها مع بعض الإضافات الدرامية، تأليف الشاعر والكاتب اليمني/المصري علي أحمد باكثير.. وقد أبدعت أم كلثوم في التمثيل، (والغناء ڴاع بلا اجميل)

سلاّمة جسدٌ جميلٌ ووجهٌ "مَتِيسٌ" وصوتٌ شجيٌّ وروحٌ شفافةٌ، حققت أقصى درجاتِ النجومية والشهرة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، أحبَّها العشراتُ ولَم يسجل عنها حبٌّ خالصٌ من طرفها.

#المجد_للشاعرات

سنتحدث اليوم دونَ إسهابٍ عن المعنى الحقيقي لـ"راجلْ ولْ امْرَه"، نحنُ في حضرة امرأة لم ينصفها التاريخ و لم يحتفِ بها الأدبُ كما ينبغي، إنها الشاعرة الجاهلية السمراء، السَّلَكَة العظيمة.

كانت السلكة امرأة سوداء البشرة، تكالبَ ضدها الجميعُ من بني تميم (بنو سعد خصوصا)، ونفوها ومارسوا ضدها كل أنواع العنصرية والإقصاء، لا لشيء سوى أن رجلا منهم أحبها، هو عمير بن يثرب بن سنان، ولم يتعامل معها كأمَةٍ لا حق لها في الحياة، بل اعتبرها حبيبةً ورفيقة درب وشريكة حياة، ثم ماتَ عنها في منتصف الطريق وتركها في محيط لا يرحم أمثالها.

ولكنه قبل الموت أنجبَ منها ولدا، ستتعهده وحدَها بالرعاية و التربية والتنشئة رغم أنه منبوذ من ذويه، ليصبح لاحقا واحدا من أعظم شعراء العربية وفرسان العرب وصعاليكهم؛ عن السليك بن السلكة أتحدث.. وقد أورثته قلبًا كبيرا وبشرةً سمراءَ وانتماءً للمطحونين والمظلومين والضعفاء.

كان السليك واحدا ممن صنعوا "ثورة" الصعاليك التي غيرت خريطة صحراء الجزيرة العربية ووضعت المبادئ الجديدة لتوزيع الثروة في عالم "رأسمالي" متوحش، ومن أشهرهم عروة بن الورد و تأبط شرا والشنفرى...

كان يضرب في الفيافي ثم يعود كل مساء للارتماء في حضن السلكة جالباً معه ما تيسر من طعام وزاد.. وكان يأسى لوضعها المزري ووضع مثيلاتها (خالاته) ممن أزرت بهن العبودية، يقول في ذلك:

أشابَ الرأسَ أنّي كل يَومٍ

أرى لي خالةً وَسطَ الرجالِ

يشقُّ عليَّ أن يَلقَينَ ضَيماً

وَيعجِزُ عَن تَخَلُّصِهِنَّ مالي

لا نعرف شيئا عن حياة السلكة العاطفية لاحقا، هل تُراها أحبت من جديد؟ كم مرةً عُشِقت؟ تمنيت أن أحكي عن قصصها وعن حياتها بالتفصيل، ولكنها امرأة من الهامش، لم يجد رواةُ التاريخ حاجةً إلى تسليط الضوء عليها، فهي بالنسبة لهم مجرد جارية سىوداء لا مكان لها في متن الأدب.

لم يحتفظ الديوانُ الشعريُّ العربي إلا بقصيدتها الساحرة التي رثت بها ابنها السليك بعد أن شعرت بموته قبل أن يصلها نعيُه، وهي من عيونِ شعر الرثاء، سبقت فيها المعريَّ إلى تحدي اللزوميات وأبدعت في إيقاعها وموسيقاها.

#المجد_للشاعرات

ننيخُ فضولَنا هذا الصباح ببابِ الشاعرةِ الكريمةِ السخيةِ المعطاءِ عَتَبَة بنت عفيف بن عمرو بن أخزم بن عبد القيس الطائية.

عاشت عتبة في العصر الجاهلي في منطقة حائل حاليا، في مجتمع ذكوريٍّ لا دور فيهِ للمرأة ولا ذِكرَ.. باستثناءِ قلة من اللواتي ثُرنَ على الوضع، ليصبحنَ رائدات في الأدب والفروسية والقيادة، وكانت عتبة إحداهن.. سجلت اسمها كأنثى تُضرب إليها أكبادُ الإبل، فتُعطي السائلَ والفقير والمستضعف، وتقري الضيفَ، وتجيرُ المظلومَ و "ترگعُ" غاياتِ الناس.

كانت ثريةً، تجودُ بمالها بشكلٍ لافتٍ و تعطي بلا حساب، فأثارَ ذلك حفيظة أخويها، فنَهَيَاهَا عن الكرمِ المبالغ فيه.. وقدما لذلك ما استطاعا من حجج ومبررات، أنصتتْ لهما عتبةُ بكامل انتباهها، ثم أجابتهما، فعلاً لا قولاً، بإعطاءِ مائة ناقةٍ لعابر سبيل..

اجتمعَ الشقيقانِ وقررا استخدامَ نفوذهما القبليِّ، واستصدارَ قرارٍ مستوحى من أعرافِ القبيلة يقضي بالحجر على هذه الأختِ "المسرفة"، ووضعا اليدَ على كل ممتلكاتها، وتركاها عاما كاملا لا تجد ما تسد به الرمقَ، ثم عادا وألقيَا المواعظَ مقتنعين أن عاما من شظفِ العيشِ كفيلٌ بجعلها تعيد حساباتها في الإنفاق، وتركَا لها هذه المرةِ قطعةً من الإبل كاختبارٍ أوليٍّ؛ فهل تُراها فهمت الدرس؟

بعد أيام حلّتْ بخيمتها ضيفةٌ تعودت أن تطالها نفحاتٌ من جودها.. وبعد أن أخذت حقها من الضيافة طلبتْ معونةً على استحياءٍ إذ تركت خلفها أطفالاً لا يجدون للطعام سبيلا؛ فأعطتها عتبةُ قطعة الإبلِ دونَ تردد..

و أنشدت:

لعمرُكَ قِدْما عضّني الجوعُ عضّةً

فآليْتُ ألاّ أمنعَ الدهرَ جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني

فإن أنت لم تفعل فعضّ الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولا لأختكم

سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

ولا ما ترونَ الخُلقَ إلاّ طبيعةً

فكيف بتركي يا ابن أمّ الطبائعا؟

يبدو أن الدرس الذي سطّرَا لم يعط النتيجة التي أرادا... فعرفا ألا شيء يحول بين شقيقتهما وبسط كفها..

ربما نتساءلُ كيف أصبحَ حاتمُ الطائيٌّ مضرباً للمثل في الجود والسخاء والندى والعطاء، إنها بذرة تربية أمٍّ أهملها التاريخُ... فحاتمُ ابنُ شاعرتِنا وخليفتها في الكرم.

هذه المرأة الشاعرة هي التي أنجبت حاتماً وربته، وهي التي جعلت منه الرجلَ الذي كانَهُ..

نحنُ صنيعةُ أمهاتِنا!

#المجد_للشاعرات

نعبرُ الأبيضَ المتوسطَ مجددا لنلتقيَ إحدى فاتناتِ الأندلس، ونسائها الخالدات، الشاعرة أمة الرحمن بنت أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي، المعروفة علماً بأم الهناء الأندلسية.

يقول عنها أحمد المقري التلمساني في (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب):

"كانت حاضرة النادرة، سريعة التمثيل من أهل العلم والفهم والعقل"

كان والدها قاضيا لدولة المرابطين في مدينة ألمرية، فتربت في بيتِ علمٍ وأدبٍ ونهلتْ من معين العلوم على يد والدها، وحينَ شغلته مهنة القضاء عبرتْ باب الدار لتأخذ العلم من شيوخ آخرين... حتى بلغت ما بلغت، وأطبقت شهرتُها الآفاقَ في أندلسِ القرن السادس الهجري.

لم تكن أم الهناء شاعرةً فقط، بل كانت فقيهة متبحرةً، وعالمةً لها تلاميذ ومريدون، ومؤلفةً تركتْ خلفها بخط يدها كتبا ضمنتها آراءها في مواضيع فقهية مهمة، وكانت إلى ذلك مربية، فكل أولادها كانوا علماء ومؤلفين وقضاة، ولهم اليد الطولى في الأدب والعلوم الشرعية.

على مكانتها العلمية المرموقة لم تنسَ أم الهناءِ حظها من الحب وشؤون القلب، تقول في حبيبٍ لا نعرف شيئا عن هويته، تُرجح المصادر أن يكون أبا علي الحسن بن حسان، الذي تزوجته لاحقا:

جاءَ الكتابُ مـن الحبيبِ بِأنَّهُ
سَيَزُورُنـي فاستعبرتْ أجفانـي
غَلبَ السرورُ عليَّ حتى أنه
من عُظمِ فَرْطِ مسرّتي أبكانـي
يا عينُ صارَ الدمعُ عندكِ عادةً
تبكـينَ من فـرَحٍ ومن أحـزانِ
فاستقبلي بالبِشْرِ يَـوْمَ لقائهِ
وَدَعي الدموعَ لِليلةِ الهجران

بعد وفاةِ زوجها الأول تزوجت بأبي عبد الرحمن محمد بن الطاهر.

يوردُ رواةُ التراث الأدبي ذكراً طيبا خاليا من "الآكشن" لهذه الشاعرة الفقيهة، التي ساهمت في الحركتين العلمية والأدبية في الأندلس، ورحلت تاركة خلفها إرثا عصيا الى الفناء.

#المجد_للشاعرات

87

نعود إلى الهنداتِ... هذا الصباح تأخذنا الشاعرة الجاهلية الجميلة هند النهدية وحبيبُها الشاعر عبد الله بن عجلان في جولة بين دروب الحب الوَعِرَةِ.

التقى الحبيبان على ضقَّةِ الصدفةِ؛ حين كانت هند "تتنشَّفْ خلّتها" على غديرٍ بنجدٍ يُعرف بـ"نهر غسان" استعدادا لارتداء ملابسِها، والعودة إلى مضارب ذويها، كان ابنُ عمها عبد الله يتلصص عليها مذهولاً، ويبدو أن ما رآه كان كافياً ليقع في غرامها.

اكتشفت هند أنها كانت مكشوفةً أمام نظراتِ رجلٍ جميلٍ جريء؛ فتبادلا كلاماً بدأ بالخصام من طرفها، و "التموليح" من طرفه، وانتهى بتبادلِ الإعجابِ والابتساماتِ و العناوينِ و أرقام الهواتف.. تأسيسًا لشيء ما يلوحُ في الأفق.

في المساءِ فاتحَ عبدُ الله صديقاً مقرباً في الموضوع، وأنشده ما قالَ فيها،

ومنه:

مُحَمَّلةً باللحمِ من دونِ ثوبِها

تطولُ القصارَ، والطوالُ تطولُها

كأن دِمَقْساً أو فروعَ غمامةٍ

على متنِها حيثُ استقرَّ جديلُها

نصحَهُ صديقُهُ نصيحة "اصديگْ" أن اكتمْ ما بكَ، واخطبْ الفتاةَ سريعاً قبل أن تتسرب الإشاعاتُ، وإياك أن تخبرَ كائناً من كانَ عن لقائكما أو تُسمِعَهُ شعركَ هذا، لأنك حينها ستُحرمُ منها مدى الحياة.. فلبَّى النصحية الثمنية؛

ولم يطلْ بهند الانتظارُ، فبعد أسبوعٍ طرقَ "الخطابة" بابَها، وتم الزواج.

عاشا سبعَ سنوات من العسلِ المُصفَّى، ثم جاءَ دور "الفلفل الحار"، كأن الحبَّ نفسَه حسَدَ الحبيبين السعيدين فقرر أن يُقوِّضَ أركانَ هذه السعادة، ويبدلهما جرةَ العسلِ بسلةٍ من "كاني".

تأخرَ الولدُ ولَم تحبلْ هندٌ... ولأن عبد لله وحيدُ والده الشيخ "الشرنيخ" الثري، الطامحِ إلى حفيدٍ يحملُ اسمه، فقد بدأ الوالدُ يضيقُ ذرعاً بهذه الزيجة، وطلبَ إلى ولده أن يتزوجَ أخرى على زوجته.

لم تُعْطِ هند الضوءَ الأخضر في "الظيار"، ولم يجرؤ عبد الله على الزواج عليها، وواصل الأبُ شيطنة وحيدِه ضد زوجته الحبيبة... وصمدَ العاشقان!

ذات مساءٍ استضافَ الأبُ ابنه و أسْكَرَه من دِنان الخمر المعتقة، فلما غطَّى الضبابُ وعيَهُ دفعه دفعاً إلى تطليق زوجته وإخبارها بذلك..

وبينما كان والدُ عبد الله يخيِّرُه بين بناتِ عمه وهو يعتذر و يؤجل الأمرَ، مرَّ نصفُ عام و تزوجت هند برجلٍ من نُميرٍ ورحلا بعيدا، فاعتَلَّ عبد الله، وكاد يفقد عقله، ورفض أن يتزوج، ووجدَ وجْدا عظيما ضُرب به المثل لاحقا عند العرب؛

فها هو سيدُ العاشقينَ قيس المجنون يقول من إحدى قصائده لليلى:

فما وَجَدَتْ وجدي بها أمٌّ واحدٍ

ولا وَجَدَ النهديُّ وَجدي على هِندِ

استمر الحالُ على ماهو عليه زهاء عامين، وفي هذه الأثناء شبَّ خِلافٌ بين النهديِّينَ وبني عامر بن صعصعة (ومنهمْ نُمير، أصهار هند الجدد)، جمع العامريون خيلهم وعتادهم سرا ليفاجئوا بني نهدٍ؛ فانحازتْ هند إلى أهلها، و أرسلت أبياتَ شعرٍ مع ثقةٍ إلى حبيبها تحذره من "الغَزِّي الذي سيطيحُ عليهم".. ورغم أهميةِ الخبرِ استراتيجيا وعسكريا، إلا أن عبد الله لم يركز في فحوى الرسالة بقدرما ما ركز في المرسول، يسأله عن هند وحالها وأراضيها حتى حدَّدَ "اللوكيشن".

بعد مسيرةِ ثلاثةِ أيام وقفَ عبد الله في طرف الحيِّ يستكشفُ ويخطِّطُ لرؤية حبيبته، كي يشفي غليلاً مُشتاقاً، ولكنَّه حين لمحها من بعيدٍ نسيَ كل خططه و رزانته والخطرَ المحدقَ به، وأرخى لناقته لجامها وهي تطوي المسافة الفاصلة بينهما، كما أرخى لحنجرته العنانَ لتصرخَ باسمها عاليا.

وكأنهما على كوكبٍ وحدهما ارتميا في أحضان بعضهما أمام دهشة الجميع، وحينَ تلاشتْ الدهشة عن الحاضرين، استلَّ النميريٌّ سيفه ليسيل دم الزائر الغريب الذي يقبل زوجته، ولكنه لم يكن بحاجة لذلك... كان الموتُ قد سبقه بخطواتٍ.

ماتَ العاشقان قبل عام الفيل بأربع حجج، في مشهد درامي مهيب، بعد أن حظيا بعناقٍ وقُبَلٍ وخاتمةٍ أسطوريةٍ تليق بحب عظيم.

#المجد_للشاعرات

يومٌ جديد و شاعرةٌ جديدة، لم تحتفظ كتب التراث باسمٍ لها ولا وسمٍ، سوى أنها ابنةُ أحدِ ولاةِ مصر إبان الدولة العباسية الأولى، يرجح أنه الليث بن الفضل.

تبدأ الحكاية عندما نقم الوالي على أحد جنوده الخُلّص، فعاقبه بأن قيده وحبسه في فناء القصر، وكانت ابنةُ الوالي تسترق النظرَ إلى الفارس الموقوف، وشيئا فشيئا تسلل هواه إلى قلبها.

أصبحت شاعرتنا تقترب أكثر من السجين، ولاحقا أصبحا يتبادلان بعض النظرات والهمسات.. ويبدو أنها قررت أن تستخلصه لنفسها و تناله أو ينالها (أو ينالان بعضهما) مهما كلفها الثمن...

انتظرت الشاعرةُ الأميرةُ أن يبادرَ الطرفُ الآخر، ولكنَّهُ لم يفعل، فكتبت إليه بكل جرأة و"متن عين":

أيّهَا الرّامي بِعَيْنَيْـ
ـهِ، وَفي الطّرْفِ الحُتُوفُ
إنْ تُرِدْ وَصْلاً، فَقَد أمْـ
ـكَنَكَ الظّبيُ الألُوفُ

استقبل السجين هذه الدعوةَ الصريحة إلى "التمكين"، وردَّ بشيءٍ من التحفظ والورعِ المبالغ فيه:

إنْ تَرِيْنِي زَانِيَ العَيْـ
ـنَيْنِ، فَالفَرْجُ عَفِيفُ
لَيْسَ إلاّ النّظَرُ الفَا
تِرُ، والشِّعْرُ الظّرِيفُ

فكتبت غاضبةً على ما يبدو لي:

قَدْ أرَدْنَاكَ عَلى عِشْـ
ـقِكَ إنْسَاناً عَفِيفَا
فَتَأبّيْتَ، فَلا زِلْـ
ـتَ لِقَيْدَيْكَ حَلِيفَا

فأجابها الفتى بإصرارٍ:

إنني قد خِفْتُ رَبّاً
كَانَ بي بَرّاً لَطِيفَا

شاعت المساجلةُ وذاع الخبرُ ولاكَتْهُ الألسُنُ، وقالت نسوةٌ في المدينةِ ابنةُ الوالي تراودُ سجينَها عن نفسه، قد شغفها حبًا... وتكفَّلَ الوشاةُ "الطيبون" بإيصال الخبر طازجاً إلى الوالي.

حُبِست الأنفاسُ وانتظر هواةُ الآكشن أن يبطشَ الوالي بالجنديِّ ويعاقبَ ابنتَه بعد أن جاءا شيئاً إدًّا.. غير أن الرجل فاجأ الجميع.

شهدت منطقتا العسكر والفسطاط (قبل بناء قاهرة المعز طبعا) عرسَ ابنةِ الوالي وجنديِّهِ، بمباركةٍ وتمويلٍ منه وبحضور أعيانِ مصر ورجال البلاط .

يحدثُ أن يبتسمَ الحبُّ مرةً في العمر.

اللهم ارزقنا حبيبةً جريئةً وحبيباً عفيفاً وأبًا متفهمًا...

#المجد_للشاعرات

89

اليوم نحكي قصة الشاعرة الجاهلية الجميلة ميلاء، قصة حب كبير وحرَجٍ بالغ، وعذابٍ وحرمانٍ.

لميلاء شقيقةٌ اسمها أم عمرو، تزوجها عن حب الشاعرُ كعب بن أبي سعد الوراق القيسي، ولقبه المخبَّل.

في إحدى لحظات التجلي بين الزوجين الحبيبين، نظر المخبّلُ إلى جسد زوجته وهي واضعة ثيابها، ثم سأل متعجبا ومعجبا.

هل في الجزيرة العربية أنثى أجملُ منك وأبَضُّ جسداً؟

قالت: أختي ميلاء أجمل مني!

فأسرَّ في نفسه فضولاً إلى رؤيةِ "ما لا يُرى" من ميلاء، ولم يُبْدِ ذلك الفضولَ لزوجته بطبيعة الحال.

لاحقاً أصبحَ المخبَّل منتبهاً لميلاء، يترصدُ حركاتها وسكناتها، ويتبعها سرا حين تغدو إلى الغدير، وأحيانا يتلصص عليها وهي مع أختها/زوجته في كامل راحتها وتخفيفها من الثوب... ولم يطل به الأمر حتى علقها، وملأت وجدانَهُ، ولم يعد يرى في الوجود سواها..

فطنت ميلاء، وكان في قلبها شيءٌ من إثارةٍ وميلٍ تجاه المخبّل، ولكنها واجهته بالحقيقة المرة، أن حبهما حبٌّ مستحيل، لا يصلح إلا ليُرْكنَ على رفوف التجاهل والنسيان... ولكنه لم يرعوِ ولم ينهَ النفس عن الهوى، بل تركَ العنان لخيالاته العشقية، حتى أصبح أسيراً لها، وكان لا بد أن يجيء يوم تتكشّف فيه الحقائق.

في أحد الأيام لاحظت أم عمرو غيابَ زوجها وغيابَ أختها، فقرأت حاستُها السادسةُ في هذا الغيابِ المزدوج شيئاً إمراً.. وبعدَ عمليةِ بحثٍ وجدت أختَها عاريةً على الغديرِ لوحدها تغني وتمشط شعرها، وزوجَها مختبئاً بين الأشجار يكاد يأكلُ بعينيهِ ذلك الجسدَ الجميلَ المكشوفَ.. وحين ضبطته هام على وجهه "حشمانا" ولم يلتفت خلفه مطلقًا.

مرت عشرُ سنواتٍ على يوم الغدير المشهود، وتغيرتْ مصائرُ الجميع:

المخبَّلُ هاربٌ، مستقر في الشام، يكتب الشعر دون توقف في ميلاء؛

أفي كل يوم أنتَ من لاعجِ الهوى

إلى الشام من أعلامِ ميلاءَ ناظرُ

أم عمر تزوجت بآخرَ، بعد اختفاء المخبَّلِ، وأصبحَ ابنُها عمرو فارسا مراهقا؛

أما ميلاء فكانت تكتب الشعر المليء بـ"كذاشْ" الشوق والحنين، و رفضت كل المتقدمين إليها، في حركة غير

مفهومة ولا متوقعة.... ثم بدأت تعتلُّ وتنحل أمام عجز الأطباء عن دوائها.

وحينما ظن الجميعُ أن القصة طُويَتْ وتُجوزت، كانوا مخطئينَ، فقط التقطت أم عمرو رأس الخيطِ، وفهمت أن ما أصاب شقيقتها هو داءٌ اسمه العشق لا شك؛ وحدَّثت إخوتها في ذلك، وتمنت عليهم أن يبحثوا عن المخبل ويعيدوه إلى الديار، ويزوجوه أختهم قبل أن تموت بين أيديهم..

استجاب الأشقاء لطلب شقيقتهم من أجل إنقاذ شقيقتهم الأخرى؛ وأوفدوا إلى الشام فريقاً بحثيا انتهى إلى العثور على "الهدف"، وحينَ أخبروه كاد يُجَنّ فرحاً... وعاد الجمعُ إلى الحجاز بالداء والدواء.

وعلى مشارفِ الحي كانت ميلاءُ تلفظ آخرَ أنفاسها، بعد أن صبرت وكتمت عشرَ حِجَجٍ كاملة؛

تأخروا قليلا إذن، فحين وصلوا كانت قد غادرت، ولما نظر المخبّل إلى جسدها المُسجَّى بلا روحٍ، لحقها على الفور.. ودُفنا معا!

ميلاءُ شاعرةٌ وقَعتْ في مأزقٍ عِشقيٍّ مُعقدٍ، لم تستطع الخروجَ منه، إلا بخروج الروح منها!

#المجد_للشاعرات

90

لقاؤنا الصباحيُّ اليوم سيكونُ مع الشاعرةِ العراقية الجميلة عُميرة، التي عاشتْ بالموصل في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

أحبت مجاشعا وهو رجل من بكر بن وائل، وأحبها، وتزوجا، وعاشا معا في حبٍّ وهناء، إلى أن قامت ثورةُ الخوارج، التي قادها الخارجيُّ القوي الضحاكُ بن قيس الشيباني، ضد مروان الحمار، آخرِ خلفاء بني أمية في دمشق.

انقسم الحبيبان فكريا؛ كان مجاشع من أنصار اعتزال الحرب، ليس راضيا عن الأمويين وليس مناصرا للخوارج، أما عميرة فاقتنعتْ بدعوةِ الضحّاكِ وانضمت إليه، رغم كل محاولاتِ حبيبها لثنيها عن هذا القرار الكبير.

بعد أسابيع قليلة حنَّ مجاشع إلى حبيبته وكتب إليها:

وجدٌ يُصاحبني لعلَّ صبابةً
منها تردُّ خليلةً لخليلِ

كانت عميرةُ في كامل حماسها، ولم يكن الحبُّ آنئذٍ من أولوياتها، فأجابت إجابةَ من لن يلتفتَ وراءه أبدا:

أبْلغْ مجاشعَ إنْ رجعتَ فإنني

بينَ الأسِنَّةِ والسيوفِ مَقيلي

أرجو السعادةَ لا أحدِّثُ ساعةً

نفسي إذا ناجيتُها بقُفولِ

ووهبتُ خِدري والفراشَ لكاعبٍ

في الحي ذاتِ دمالجٍ وحجولِ

هذا الشعر في نظري، بمثابةِ امرأةٍ تطلبُ "رقبتها" نهارا جهارا غير آسفةٍ، بل تتنازل عن سريرها طواعية لأي أنثى أخرى.

توالت الشهورُ و "اندحست" عميرةُ من جو السيوف والرماح والنصال والكر والفر وحنَّت إلى "شيءٍ ما"، و بدون أن تدري "تَفَرْفَرَتْ"،وقالتْ كل شيء دفعةً واحدة:

تركتُ رُمْحاً ليناً مسُّه

وجئتُ رمحاً مسه قاتلُ

سيانِ هذا بدمٍ سائل

وذاك منه عسلٌ سائلُ

مطعونُ ذا كم منهُ في لذة

وأمُّ مطعونِ بذا ثاكلُ

مروا بنا نرجعْ إلى ديننا

فكل دينٍ غيره باطلُ

ومِلةٌ الضَّحَّاكِ متروكةٌ

لا يحيِيَنْها أحدٌ عاقلُ

ذاك مالو واضح بعد ؟! لا تعليق على أبيات "ابْليسْ ديزْويتْ" هذه..

المهم أن عميرة عادت من المعسكرِ إلى المدينة و"كطَّتْ حالتَها"، وانقطعتْ عني قصتُها حينذاك..

لكني أعتقد أن ما قالته ـ في أعرافنا ـ كفيلٌ بأن تعودَ امرأةٌ إلى دارها.. هذا إذا لم تكن حلت بها أخرى بعدها..

عميرة شاعرة جميلة وفارسةٌ شجاعةٌ، فضلت حياتَها الفكرية والمهنية على حياتها العاطفية.. ثم حنَّتْ أخيرا، وأنا منحاز أبداً للأنثى عندما تشتاقُ وتحِن.

#المجد_للشاعرات

91

ما رأيكم أن نعودَ لصباحاتِ القصور والثراءِ و"التشعشيع"؟ صَبوحنا اليوم على حسابِ الأميرة العباسية الفاتنة أمة العزيز بنت جعفر، المعروفة علما باسم زبيدة، سُميت بذلك لفرط بضاضتها ونضارتها وصفاء بشرتها.

جدها أبو جعفر المنصور المؤسس الفعلي للدولة العباسية؛ و خالتها المرأة القوية الخيزران بنت عطاء، وزوجها ابن خالتها وابن عمها هارون الرشيد.

كان زوجها الخليفة كثير السفر للقتال والحج والصيد، وكانت هي خليفته في الحكم وهي من تمسك زمام الأمور في غيابه، فتشكَّلَ لديها وعيٌ سياسي، وتوقٌ إلى السلطة وجنوح إلى الملك.

قادت مغامرةً سياسية كادت أن تعصف بكيان الدولة العباسية، حين قررت أن تدفع بابنها الأمين ليكون ولي العهد بعد أبيه متجاوزة بذلك "حق" أخيه المأمون الذي يكبره بستة أشهر؛ ومحاججتها في ذلك كانت محاججةً عنصرية، إذ ترى أن ابنها الأمين هاشمي الأب والأم، بينما المأمون ابن جارية.

بعد الصراع الدموي بين الأخوين وقتلِ الأمين، يحسبُ لها أنها رفضت مساعي كل الذين أرادوا أن يتواصل القتال ثأرا للأمين، وقالت مقولتها الشهيرة : "لئن كنتُ قد فقدتُ ابنًا خليفة، فقد عُوضت ابنًا خليفة لم ألده".

كانت راعية للأدب والفنون، تكفلت برواتب كوكبةٍ من الشعراء والفقهاء والمؤلفين والفلاسفة والمترجمين والأطباء كي يتفرغوا لما هم فيه، فلا يحملون همَّ "لقمة العيش"،

ومنهم: أبو نواس، الجاحظ، العباس بن الأحنف، مسلم بن الوليد، أبو العتاهية، ابن الضحاك، خلف الأحمر، الفراهيدي، سيبويه والأخفش، ومن الفقهاء مالك بن أنس والأوزاعيُّ.

ثم إنها مولت أعمال الحفر لبناء نظام هندسي يروي مكة وحجاجها بالماء العذب، وهناك وقفٌ جارٍ ما زال حتى يوم الناس هذا موجودا باسمها، "عين زبيدة"، تسيِّره الهيأة العامة للأوقاف في السعودية... و عمرت الطريق بين بغداد ومكة بالدور والمساجد وعيون الماءِ حتى تكفل للحجاج وصولا مريحا إلى مناسك الحج.

كانت مثقفةً، لها توجه صوفي روحاني، تكتب الشعر والنثر، تحب الموسيقى والطِّيبَ والطبخ وتعشق الجمال مطلقا.

زبيدة رائدةُ الموضة في بغداد، فكانت كوكو شانيل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، تمزج بين دور الديزاينر و الستايليست والفاشينستا و الموديل، فكانت النساء ينتظرن إطلالتها ليلبسن على ذوقها.

كانت تنفقُ مالا كثيرا في جلب "الخنط" من الصين والهند، وتجتهد في تفصيله وتنسيقه وترتيب ألوانه، حتى يكون حديث الساعةِ، وتتهافتُ نساءُ الطبقة المخملية إلى تقليده.

عُرفت بالغيرةِ الشديدة، ولكن الرشيدَ بدهائه استطاع ترويضَ هذه الغيرة، وإطفاءَ جذوتها.. يكفي أن نعرف أنه تزوج عليها تسعَ مراتٍ،فضلاً عن عشرات الجواري... وبقيت هي حبيبة القلم وسيدة القصر الأولى و "الجاي يجي عليها والماشي يمشي عنها".

في كتاب "ألف ليلة وليلة" قُدمت صورةٌ كاريكاتورية لزبيدة، صورة أنثى متسلطة، ظالمة،، شريرة أحيانا، تقتل بدم بارد (بمساعدة السياف المشهور مسرور طبعا).. وهي صورة بعيدة عن الواقع قريبة من الأدب من وجهة نظري.

زبيدة أميرةٌ وشاعرة وأديبةٌ صاحبة "جوٍّ" وطرب، ولم تنسَ الاستثمار في العلم والطب والفلك والفلسفة... وفي آخرتها أيضا!

#المجد_للشاعرات

92

أهلا بنا في ضيافةِ الشاعرة المغنية الجميلة صاحِبْ، ومغامرتها الجريئة التي قادتها إلى الحرية، وإلى بيت حبيبها.

تبدأ الحكاية حينما شبَّ حريقُ الحبِّ في قلبينِ لا يحق لهما أن يعشقها بمقايس ونواميس ذلك العصر: صاحبْ الجارية التي ينحصر دورها في الغناءِ للخليفة الواثق بالله والترفيه عنه، وتلبية رغباته الجسدية الأخرى، والشاعر محمد (وقيل أحمد) بن أمية بن أبي أمية البصري الذي ينحصرُ دوره في حضورَ مجالس الخليفة و تدبيج قصائد المدح، ولا يحق له البتَّة أن "يطمع في حريم السلطان".

ولكنَّ الحب (أو ربما "امشَدْ شي" كمرحلة أولى) لم يستأذن القلبين قبل أن يتسلل إليهما.. وهكذا وقعا في شباك بعض، وظلاَّ في صراعٍ نفسي لوأدِ هذه المشاعر القاتلة دون جدوى. كانت المشاعر تكبر غير عابئةٍ بما قد تسببه لصاحبيها.

في إحدى الليالي، دارت الكأسُ في مجلس الواثق، وأدى النبيذ مهمتَهُ الأزلية... وحين أكلَ الليلُ ثُلثَهُ أو أكثرَ بدا وكأن الخليفة ورفاقَ سمره قد خلدوا إلى النوم في أمكنتهم مُثقلينَ بالسُّكر والأكلِ والطرب... فجازفَ الشاعرُ ليجسَّ نبض محبوبته، وكتب لها هذه الأبيات التي ينقصها "الورع" في نظري:

إني رأيتكِ في المنامِ ضجيعتي

مسترشِفاً من ريقِ فيكِ الباردِ

وكأنَّ كفكِ في يدي وكأنما

بتنا جميعاً في فراشٍ واحدِ

ثم انتبهتُ ومعصماك كلاهما

بيدي اليمينِ، وفي يمنيك ساعدي

فقطعتُ يومي كلَّه متراقداً

لأراكِ في نومي، ولستُ براقدِ

بيد مرتعشةٍ خائفةٍ التقطت صاحبُ الرقعة، وقرأت ما فيها سعيدةً، وحينَ اطمأنَّ قلبها، قلبتها وكتبت:

خيراً رأيتَ وكل ما أبصرته

ستناله مني برغم الحاسدِ

إني لأرجو أن تكونَ مُعانقي

وتظلَّ مني فوقَ ثديٍ ناهدِ

وتبيتَ بين خلاخلي ودمالجي

وتحلَّ بين مراشفي ونواهدي

ونكونَ أنعمَ عاشقين تعاطيا

مُلحَ الحديثِ بلا مخافةِ راصدِ

وحين ألقت الجوابَ البعيدَ من الورع هو الآخر إلى الشاعر المجنون، ألجمتها المفاجأةُ فقد فتحَ الواثقُ عينينه على حركتها، واكتشفَ الحوار الذي يوشوشُ به الحبيبانِ للرقعةِ المحايدة...

توقع العاشقانِ كل صنوفِ العقاب الممكنة، ولكن الله ستر، فقد استفسرهما الرجلُ، فشرحا له أن عشقاً مفاجئا خامرَ قلبيهما، وأقسما أن هذا أول تواصل بينهما، ولم يسبق لهما أن التقيا أو تبادلا حديثا حتى...

ويبدو أن الصهباءَ ساهمتْ في فرض مُسحةٍ رومانسية على الواثق، أو ربما هو سابق عشقٍ حلَّ بقلبه ذات يوم... المهم أن ردة فعله كانت أعلى وأسمى من سقف انتظاراتهما.

أُعتِقَت صاحب، ولم يطلع الفجر حتى انتهت مراسيم العقد الشرعي، وخرج الحبيبان العريسان من القصر إلى حيث انقطعت عني أخبارهما...

تُروى الحكاية في عشرات الكتب بأكثر من طريقة.. وقد اعتمدتُ في هذه القصاصة على ميكساج بين روايتيْ الأبشيهي في مؤلفه الأشهر "المستطرف في كل فن مستظرف"، والأصفهاني في "الإماء الشواعر".

صاحب شاعرةٌ جميلة وعاشقة محظوظة، خلَّصها الحبُّ من مستقبلٍ روتينيٍّ لا فكاكَ منه...

وهذه ليست أولى ولا آخر حسناتِ الحب.

#المجد_للشاعرات

شاعرتنا اليوم هي سيدة من سيداتِ الفلسفة و العلم والأدب والتأليف، والتصوُّف في حبِّ المصطفى صلى الله عليه وسلم.. عن مولاتِنا عائشة الباعونية أتحدث.

ولدت عائشة في الثلث الأخير من القرن التاسع الهجري، في الصالحية بدمشق، في نهاية العصر المملوكي (دولة المماليك) وعاشت بين الشام والقاهرة لأبٍ مَقدسيِّ المولدِ باعونيِّ الأصل (باعون بلدة أردنية من محافظة عجلون)، هو الفقيه و القاضي يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة.

عائشة هي أكثر امرأة عربية تأليفًا على الإطلاق قبل القرن العشرين.. وتصنَّفُ من بين العلماء القلائل اللذين يحملون الإجازة في الفقه والإفتاء والتدريس في المذاهب الأربعة، فضلا عن مكانتها كشيخة صوفية لها مريدوها وتلامذتها.

ألفت حوالي عشرين كتابا ومئاتِ القصائد في مديح الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ من كتبها: "الفتح المبين في مدح الأمين"، "الإشارات الخفية في المنازل العلية"، "المورد الأهنى في المولد الأسنى"، "الملامح الشريفة و الآثار المنيفة"....

أما أشهر مؤلفاتها فهو "المُنْتَخَب في أصول الرتب في علم التصوّف" وهو كتاب ثمينٌ، يقفُ على ركائز أربع وهي التوبة والإخلاص والذكرى والحب، وهذه الركائز تحدد ملامحَ فلسفة عائشة في الحياة، وتقدم صورة عن علاقة الإنسان بربه تلك العلاقة التي تنطلق من الحب وتعود إليه.

الكتابُ حققه وترجمه حديثاً إلى الإنجليزية المستشرقُ الأمريكي توماس إيميل هومرين، أستاذُ الدين في قسم العقيدةِ والكلاسيكيات في جامعة روشستر، بنيويورك.

هومرين ألّف عنها أيضا كتابا عنوانه "حب حي.. الكتابات الصوفية لعائشة الباعونية".

خصصت اليونسكو سنتي 2006 و 2007 للاحتفال والاحتفاء بخمسين شخصية ثقافية فكرية مؤثرة في تاريخ الحضارة البشرية، وكانت عائشة الباعونية على رأس القائمة بعد مرور خمسة قرون على رحيلها.. وضمت القائمة إلى جانبها من المسلمين الفراهيدي وابن خلدون.

عائشة الباعونية امرأة عظيمة وإنسانة رائدة، لها باعٌ واسع وشموليٌّ في العلوم الشرعية والفكر والفلسفة؛ تركت أثرا ثريا وبصمة محفورة وذكرا طيبا لا يمَّحي.. ومع ذلك بخلَ عليها التاريخُ العربيُّ بتسليطِ ما يليقُ بها من أضواء على شخصيتها وكنوزها الفكرية.

#المجد_للشاعرات

نحطُّ الرحالَ على بابِ قُتيلة بنت النضر بن الحارث العبدرية القرشية، صحابية و شاعرة مخضرمة عاشت جلَّ حياتها في الجاهلية وأسلمت يوم فتح مكة.

أبوها (وقيل أخوها) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، ألد أعداء الإسلام وأكثر من آذوه، كان مطلعا على ثقافات اليهود والفرس والروم، وله خبرة في العزف على العود، وهو من كتب بخط يده الصحيفة التي تنص على مقاطعة بني هاشم وعزلهم في الشِّعب،

ثم إنه حمل لواء قريشٍ في غزوة بدر، وأسِرَ ثم قُتِلَ لاحقا..

وحين وصل نعيُه إلى قُتيلة رثته بقصيدة من أجمل ما قيلَ، حتى إن المصطفى صلى الله عليه وسلم تأثر بها حتى بكى واخضلت لحيته الشريفة، ويروى عنه ما معناه أنه لو كانت شفعت فيه لشفَّعها وعفا عنه.. وأعتقه من الموت.

منها:

أمحمدٌ يا خيرَ صنو كريمةٍ

في قومها والفحل فحل معرقُ

ما كان ضرك لو مننتَ وربما

منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من أسرتَ قرابةً

وأحقهم إن كان عتق يعتقُ

زوجها هو عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف، أنجبا عليًّا والوليدَ ومحمدًا وأُم الحكم، ومن أشهر ذريتهما حفيدتهما الثريا بنت علي، حبيبة عمر بن أبي ربيعة، وملهمةُ أغلبِ قصائده.

أسلمت قتيلة يوم فتح مكة مع زوجها وحسُن إسلامهما و لعبا لاحقاً دورا محوريا في الوقوف أمام موجات الردة مستخدمين في ذلك المنطق والعقل والحوار والإقناع.. والشعر أحيانا.

توفيت قتيلة في خلافة عمر بن الخطاب بينما عُمِّر عبد الله حتى أدرك قيام دولة الأمويين.

رضي الله عنهما.

مدحت قتيلة الحبيب صلى الله عليه وسلم بقصيدة جميلة منها:

الواهب الألف لا يبغي بها بدلا

إلا الإله ومعروفاً بما اصطنعا

#المجد_للشاعرات

تستضيفنا اليوم الشاعرةُ التي لا تميلُ مع الريح حيث مالت، ولا تغير رأيها حين يتغير ميزانُ القوة، الشاعرةُ الموقفُ أروى بنت الحارث.

والدُها الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، عم المصطفى صلى الله عليه وسلم؛

وزوجها أبو وداعة الحارث بن صبيرة، الذي شهد بدرا مع قريش وأسر، وكان أول من افتِدِيَ من الأسرى. أسلم يوم فتح مكة.

عندما شبت الفتنةُ بين المسلمينَ انضمتْ أروى (التي لا أعرف متى أسلمت بالضبط) إلى عَليٍّ كرم الله وجهه، ودافعت عنه بقلبها ولسانها ويدها..

مما تقول فيه:

إذا اسْتقْبلتَ وَجهَ أبي حُسيْنٍ

رأيتَ البدرَ راق الناظرينا

فَلَا وَالله لَا أنسى علياً

وحُسْنَ صلَاته فِي الراكعينا

وعندما استتب الأمر للأمويين.. سافرت أروى وهي طاعنة في السن من المدينة إلى دمشق، ودخلت مجلس معاوية بن أبي سفيان؛ فقوبلت بشيءٍ من عدمِ اعتبارٍ (بلْ تطاولٍ گاع) من طرف عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، لسابق مناصرتها عليًّا...

فرفعت عقيرتها غير خائفة ولا جبانة، وأغلظت لهما القول، ثم ألقت خطابا مضمونه أنها دافعت عن عَليٍّ لأنه كان على

حق، وليست نادمة على ذلك وأن معاوية غاصبٌ للسلطة وهو يعرف ذلك.. وأنها لا تتراجع عن بيت شعر واحد ناصرت به عليا أو بكته.

خاطبها معاوية: قائلا كيف حالك يا عمة؟ محاولا بدهائه المعهود تهدئتها وممازحتها سعيا إلى امتصاص غضبها... ثم سألها عن حاجتها فقالت:

لا حاجة لي بك وغادرت دون أن تستأذن..

وقبل أن تخرج تفاخرت ببني هاشمٍ "شويْ"، وقالت كلاما عن أمهاتِ الرجال الثلاثة (تكَدْ تگولو الا أروى).. رضي الله عن الجميع وعفا عنهم.

في الحقيقةِ موقفُ أروى في مدح عليٍّ كرم الله وجهه، والدفاع عنه.. والثبات على ذلك الموقفِ في حضرة معاوية بن أبي سفيان، تشاركها فيها شاعراتٌ أخرياتٌ أذكر منهن الصحابية أم سنان المذحجية، إضافة إلى أم البراء بنت صفوان، بكارة الهلالية و سودة بنت عمارة الهمدانية، لن أتمكن للأسف من المرور عليهن والحديث عن قصصهن (مزالو كاع الا ست شاعرات في قائمتي).

أروى شاعرةٌ مبدعةٌ وامرأةٌ ذاتُ رأيٍ وموقفٍ، لم تثنِها قوةُ معاوية وجيشُه وسلطانه عن الصدعِ بما تعتقدُهُ.. لها شهامةٌ وكرامةٌ وموقفٌ وحضورٌ وكاريزما، تنحازُ إلى ما تراه حقا بغض النظر عن الظروف والسياق.

#المجد_للشاعرات

يتوقف قطارُ الشاعراتِ المزدحمِ هذا الصباح بمحطةِ الشاعرةِ الجميلة المهضوم "حقها"، الدهناء بنت مسحل.

عندما تفتَّحت أنوثتُها تزوجها رجلٌ من قومها اسمه العجاج، وبعد مرور عام من الزواج شكت الدهناء إلى والدها معاناتها على حياءٍ خلال لقاءِ مصارحةٍ عائليٍّ، على إثر ذلك التقى مسحلٌ صهرَه وطلب إليه أن يطلق ابنته في صمتٍ، و"يا دار ما دخلك شر".

ولكن العجاج ركب دماغه وقرر ألا يطلق زوجته.

حزمت الدهناء أمرها واشتكت إلى والي الأمويين على اليمامة، إبراهيم بن عربي، وكانت واضحة في طرحها قالت إنها متزوجة منذ عام وما تزال بكراً، وتريدُ الطلاقَ أو زوجاً يعرف الطريق إلى فراشها. نقطة!

أنكرَ العجاج دعوى زوجته بالطبع، وأبدى كثيرا من "الثقة في النفس"، وقال إنها مجرد مؤامرة بينها هي ووالدها ليجبروه على الطلاق،

وأضاف شعرا:

قد ظننت الدهنا وظنَّ مِسْحلُ

أن الأميرَ بالقضا يعجِّلُ

عن كسلاً لي، والحصانُ يكسلُ

عن الضِّرابِ وهو طرفٌ هيكلُ

أجابت الدهناء بجرأة:

أقسمُ لا يمسكني بضَمِّ
ولا بتقبيلٍ ولا بشمِّ
ألا بزعزاعٍ يسلي غمي
تطير منه شهوتي في كمي
لمثل هذا ولدتني أمِّي

قال الوالي: يا دهناء لعلك تعازين الشيخَ أو تمنعينه!

فقالت:

"والله إني لأقيم له صلبي وأرخي له بادي"

(و البادُّ ـ يا سادة يا كرام ـ هو باطن الفخذ..)

فقال العجاج (محاولا أن يبدو رجلا "يعرفُ.."):

"والله إني لآخذها العُقيلاَ الشَّغزبيَّة"

(العقيلا تشبه ما نسميه محليا "دگ العاقله" حرفيا، والشغزبية هي الأخذ بالعنف)

فضحك الوالي طويلا ثم قال: الشغزبية هي التي أهلكتك.. انطلقا فقد أجلتُ الحكمَ في قضيتكما سنةً!

ثم انفرد بالعجاج ونصحه أن يستغل الفرصة ويثبت وجوده خلال هذه السنة.

وخلال عامِ الاختبار يبدو أنه لم يكن عند العجاج ما يقدمه سوى الكلام،

فكانت الدهناء حين ينتصف الليلُ تترنم بهذه الأبيات حتى مطلع الفجر، بصوتٍ مرتفع:

والله لولا كرمي وخيري

وخشيتي عقوبة الأميرِ

ورهبة الجلوازِ والترتور

لجلتُ عن شيخ بني البعيرِ

جوْلَ قلوص صعبةٍ عسيرِ

تضربُ حِنْوَيْ قتبٍ مأسور

(الجلواز والترتور هي الشُّرطة، مع أن الجلاوزة أكبر رتبةً من التراتير)..

الأشطر الثلاثة الأخيرة كناية عن "التسدار" باختصار شديد..

والثلاثة الأولى بيان رقم1 تعلن فيه الدهناء موانعها من أن تكون "سدارةً".

الدهناء شاعرةٌ جريئةٌ وواضحةٌ، وضعتها الأقدارُ في بيتِ رجل لا هو أوفاها حقها الشرعي، ولا هو طلقها لتتدبر أمرها...

يا لحظها العاثر!

#المجد_للشاعرات

97

اليوم تُفسحُ صدرَ المجلسِ لشاعرةٍ من طينة الملوك، نائلة بنت عمرو بن الظرب، الزباء علماً، ملكة الجزيرة العربية والشام.

تولت الحكم بعد مقتل أبيها على يد جُذيمة الأبرص و(وقيل الأبرش)، فقررت الانتقام لروح والدها؛ مَدَّتها شقيقتها الصغرى بخطةٍ جهنمية.

فكتبتْ الزباءُ إلى جذيمة خطاباً تعرضُ عليه نفسها، وتطلب الزواج، لأنها أنثى لا تقدر على مقاليد الحكم وتحتاج رجلا قويا إلى جانبها، وأضافت بعضَ المُحسِّنات من توابلِ الإغراء والإغواء، وأرسلت رسالتها بالبريد السريع المضمون... وانتظرت.

استشار جذيمة مقرَّبيهِ.. وقالوا جميعا بالذهاب إليها: مُلكٌ وفتاةٌ جميلةٌ، (مامتك داعيالك لا شك)، ولكنَّ قصيرا ابن عمرو اللخمي، الرجلَ الدميم، القصيرَ، الحكيمَ كان له رأي آخر، فقال لجذيمة:

"اكْتُبْ إليهَا إن كانت صادقةً فَلتُقْبلْ إليكَ، وَإلا فَلا تُمَكنها مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ وَتَرْتَهَا وقتلتَ أباهَا".

لم يُسمعْ رأيُ قصير..

زحف جذيمة في وفدٍ من "اصحابْ لعريسْ"... وحينَ أصبحوا على مشارفِ قلعة الزباء أحيط بهم، وأُعمِلت السيوفُ في رقابهم إلا قصير فقد تدبر أمره ونجا و وقفلَ عائدا إلى قومه..

حُمِل جذيمةُ إلى الزباء، فقطعت شرْيانَيْهِ من الرسغين، وتركته ينزف حتى رحل.

قرر عمرو بن عدي، ابنُ أخت جذيمة أن يقتص لخالِهِ... وهذه المرة طُلِبَ رأيُ قصير، فقال اجدعوا أنفي وارسلوني إليها، فأبوا عليه ذلك، فجدعَ أنفه بنفسه فقالت العربُ "لأمرٍ ما جدعَ قُصيرٌ أنفه"، فأصبحت مثلا حتى يومنا هذا.

في بلاط الزباء، قدَّمَ قصير نفسَه كـ"مُعارضٍ في الخارج" لنظام عمرو بن عدي.. وأسرَّ للزباء ببعض المعلومات الاستراتيجية المهمة عن بلده، وأعطاها مشورةً في بعضِ الأمور، فاتضحت لها حكمتُه وبعدُ نظره.. فعيَّنَتهُ "مكلفاً بمهمةٍ" في ديوانها.

بعد عامين من التفاني، طلبَ إليها أن تعطيه بعض المال ليشتري لها من العراق عطورا وحريرا و"بضاعةً" لم يسبق لها أن رأتها؛ وفعلا فغرتْ فاها حين رأت حمولة القافلة من النفائس والطرائف والتلائد، فقررت أن تعيد الكرة ثانية؛ وفي المرة الثالثة جاءت القافلة محملةً بصناديقَ عملاقةٍ يقبع فيها الرجال المسلحون، من بينهم عدوها الأكبر عمرو بن عدي.

وحين نظرت الزباء من بلكونة قصرها إلى القافلة العظيمة، رأت الإبل تسير بطيئةً تكاد قوائمها تغوص في الأرض لفرط حمولتها، فخامرها شكٌّ،

وقالت لجلسائها:

ما للجِمالِ مشيها وئيدا

أجندلاً يحملنَ أم حديدا

أم صَرِفاناً بارداً شديدا

أم الرجال جُثَّما قعودا

(لاحقاً أثار إعرابُ "مشيُها" و "وئيداً" الكثيرَ من "الرَّوغ" بين البصريين والكوفيين..

والبيتُ من شواهد الألفية المشهورة)

وصل قصيرٌ مسرعاً قبل القافلة، وأنساها شكوكَها، وهو يعدد ما حمل إليها من أسواق الرافدين حتى "أكل بعقلها حلاوةً".. وقُضي الأمر!

دخلت جِمال قصيرٍ تماماً كما دخلَ حصانُ طروادة، وبدأ القتل...

أدركت الزباء ما حلَّ بها، وعندما أصبحت السيوفُ قاب خطوتين منها مصَّت سُما من خاتمٍ ببنصرها، ووضعت حدًا لحياةِ امرأةٍ جميلة وقوية.

يرى الطبري أن الزباء هي نفسها الملكة زنوبيا، ملكة تدمر العظمى،وذهب إلى ذلك آخرون.

أعترفُ أنني غطستُ في أكثر من عشرين مرجعاً، ولم أفلح في الخروج بشيء ملموس.

أيُّ بحثٍ من شخص مثلي ليس متخصصا في التاريخ لا يُفضي إلى نتيجة ذات أهمية.

ولكنَّ الراجحَ عموما أن الزباء هي صاحبة هذه الحكاية، وزنوبيا ملكة أخرى في سياق آخر وهامشٍ جغرافي يمتد من الأُقصر حتى روما!

عاشت الزباء ملكةً "طَروبةً" تسبح كل صباحٍ في حوض من العطور، ولها زوجٌ جديدٌ كل أسبوع.. حتى ماتت "بيدها لا بيد عمرو".

#المجد_للشاعرات

98

نأخذُ اليومَ جولةً في دروبِ الأنوثةِ وأزقتها، دليلتُنا فيها فاتنةُ الكوفةِ و"باشتْ أريام" العراق قاطبةً سلامة الزرقاء.

الزرقاء شاعرةٌ جميلةُ الحرف، مغنيةٌ ساحرةُ الصوتِ عازفة رائعةُ اللحنِ، وراقصةٌ رائقةُ الحركة.. وآيةٌ من آيات الجمالِ في منتصف القرن الثاني الهجري.. كانت جاريةً لابنِ رامين؛ وابنُ رامينَ هو أحدُ سقاةِ الخمر المشهورين، يمكننا بلغة اليوم أن نقول إنه كان يديرُ من منزلِه باراً أو "بوات د نوي" يرتاده عِلية القوم.

جذب جمالُ الزرقاءِ شعراءَ وأمراء وأثرياء العراق، وعشِقها كل من رآها، و كانت فلسفتُها في "الإمتاع" واضحة و حازمة: لكل أحدٍ الحق في الاستمتاع بغنائها ورقصها وحديثها ولكنَّ جسدَها خطٌّ أحمر حتى على ابن رامين نفسه...

المرة الوحيدة التي تنازلت فيها الزرقاء عن هذه القاعدة، لما تبرعت بقبلةٍ (أو قُبلٍ على الأصح) مقابلَ لؤلؤتين بقيمة أربعين ألف درهم..

تقول الرواية إن الصيرفيَّ و الجواهرجيَّ الثريَّ جدا الماجنَ جدا يزيد بن عون العبادي، وهبها لؤلؤتين ثمينتين، واشترط عليها أن تستلمهما من فمه مباشرة...

والمهم ـ بعيدا عن عن تفاصيل ما حدث ـ أن اللؤلؤتين أصبحتا ملكا للزرقاء..

وخلاص!

كان من عشاقها الوالي والفارس روح بن حاتم المهلبي، والكاتب عبد الله بن المقفع، والشاعر إسماعيل بن عمار، وفتى بني شيبان الألمعي معن بن زائدة (ووخيرت بعد، هذا رجلٌ أحبه لأنه فارس وحليم وسخي ويعفو عند المقدرة) إضافة إلى محمد بن الأشعث بن نجوة الذي يقول فيها:

أمسى لسلَّامة الزرقاءَ في كبدي
صدعٌ مقيم طوال الدهر والأبدِ
لا يستطيعُ صناع القوم يشعبُه
وكيف يُشْعَبُ صدعُ الحبِّ في الكبدِ

أما هي فقد أحبت شاعراً "طافيا" اسمه محمد بن جميل وأحبها حبا شاهقا، ولكن إمكانياته المادية حالت بينه وبينها، وبقي كلاهما يحب الآخر بلا أمل في اللقاء.

استمر الوضعُ على ما هو عليه حتى هام بها الأمير جعفر بن سليمان، ابن والي أبي جعفر المنصور على البصرة، واشتراها من ابن رامين، وأجزل له العطاء.

يقال إن والده غضب عليه لانشغاله بجاريته الزرقاء، بينما العالم مقلوب جراء ثورة عبد الله بن علي (عم المنصور).. فذهب إلى بيته غاضبا و وبخه كثيرا وطلب منه أن يكون إلى جانبه في هذا الوقت الصعب، ولكنه حين رأى الزرقاء

رأيَ العين "خفٌّ لفگايع" وذُهل من جمالها وقال لابنه: "واللهِ الَّ منصابلك".. ولم يعتب عليه بشأنها أبدا.

ثم إن جعفراً تزوجها وأغلقَ عليها قصرا لا ترى و لا يراها سواه..

قيلَ إنه سألها في لحظةِ مصارحةٍ ومكاشفةٍ عن "ذاكرة الجسد" و ماضيها العاطفي.. فقالت إنه لم يمسسها رجل، ثم استدركت وقصَّت عليه حكاية بائع المجوهرات معها... وبعد أيام عُثرَ على جثة يزيدٍ ابن عون وقد نُكِّلَ به حتى الموت.

يبدو أنه دفع مرةً أخرى ثمنَ القُبَلِ التاريخية.. غير أن الثمن هذه المرة كان أغلى من أربعين ألف درهم.

امتلك جعفر جسدَ الزرقاءِ كاملاً، ولكنَّ الرواةَ يؤكدون أن قلبها ظل يرفرفُ بعيداً عن قصرها العامرِ، ويبث الشوق لذلك الشاعرِ الكوفيِّ "الطَّافي".

#المجد_للشاعرات

99

صباحنا اليوم مع الشاعرة صفية بينت ثعلبة الشيبانية، التي تلقب بالحجيجة، لأنها ما حاججت أحدا إلا غلبته بالمنطق والفصاحة.

وهي عرّابة يوم ذي قار المجيد.

بدأت القصة عندما قتل كسرى النعمانَ بن المنذر، ملكَ الحيرة وأبَ الشاعرة الراهبة هند بن النعمان (الحرقة).

كسرى الذي لا يُرد له طلبٌ أبدا أعلنت فتاة عربية ضئيلة من تخوم بلادها رفضها شرف الزواج منه، لذلك قتل والدها وأرسل فيلقا في طلبها، لم يكن أمام هند إلا التمسك بقشة في بحر متلاطم، ولكن أراد الله أن تكون هذه القشة جبلاً اسمه صفية بنت ثعلبة.

كان الأمر برمته ثورة نسوية، أن تستجير امرأة بامرأة، و أن تجير امرأة على قبيلة بأكملها بل عدة قبائل متحالفة؛ وأن تشعل امرأة فتيل حرب ليس كسببٍ لهذه الحرب فقط، بل كجزء من الحرب ذاتها..

كل ذلك كان خرافي!

ما فعلته الحجيجة هو أنها اشتغلت على الجانب الإعلامي، فأشعلت وسائل التواصل الاجتماعي بالقصائد والخطابات النارية، وتحفيز الكسالى و البث المباشر لمجريات المعارك.. ما أدى إلى استضافة محاربين جدد بعد كل معركة.

بذلك استطاعت أن تجمع الفرسان، وأن تقنعهم بأنهم أنداد كسرى وتبدلهم ثوب الذل والتبعية والركوع بثوب الشموخ والأنفة والكبرياء... استطاعت أن تجمعهم إلى فكرة ثم ترسم أمامهم هدفا واضحا وتخطط معهم ليصلوا لهذا الهدف.

في ذي قار لم ينتصر المقاتلون، لم ينتصر فرسان العرب.. بل انتصرت الحجيجة صفية... انتصرت الفكرة.

انتصر الوقوف على الركوع.

عندما نقول إن امرأتين أشعلتا حربا وقادتاها حتى النصر قبل ستة عشر قرنا، يبدو الأمر أقرب إلى أسطورة منه إلى واقع ولكنَّه حدث فعلا .

صفية شاعرة عظيمة أحبت الشعر فوقف معها في معركة إثبات الوجود ، حتى انتصرت، حتى انتصرا!

#المجد_للشاعرات

100

اليومَ يتوقفُ قطارُ هذه السلسلة نهائيا بعد أن بلغت المائة، والمحطة الأخيرةُ محجوزةٌ باسم شاعرةٍ وسيدةٍ من سيدات الجمال والأدب والثراء و الفصاحة هي أم البنين بنت عبد العزيز.

سنستدرجها خصيصا لتحكي لنا قصتها مع وضّاح اليمن الشاعر الوسيم الذي دفع حياته ثمنا لحبها.. "دون أن تنتطحَ فيها شَ شَ".

تربت أم البنين في مصر، حيث أمضى والدها عبد العزيز عشرين عاما وهو واليها، شقيقها سادس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز، وزوجها الخليفة الوليد بن عبد الملك.

وقصة حبها العظيمة مع وضاح اليمن، رُويت باختلافات كثيرة، سأعتمد هنا على ما جاء به طه حسين في حديث الأربعاء.

وضاح اليمن رجلٌ من صنعاء اسمه عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني عُرف بالوسامة والجمالِ والوضاءة والصباحة، إلى حد أنه لا يدخل السوق إلا مُلثماً خشية أن يفتن النساء: وكان شاعرا لا يشق له غبار.. يمكننا باختصار أن نقول إن وضاح اليمن كان فتى و "كطاع اگلايد" بجدارة.

تبدأ الحكاية عندما حجت أم البنين، وكان من عادة "الشبيبات" أن يُتَغَزَّلَ بهن في مواسم الحج؛

ولكن أم البنين كانت زوجة الخليفة، فمن يجرؤ على التشبيب بها؟!

كانت تحتاج إلى العودة بقصائد غزل (لأن ابنة عمها "ظهرها" فاطمة بنت عبد للملك شُبُِّبَ بها كثيرا) فراسلت كثير عزة، و وضاح اليمن وآخرين سرًّا أنِ اكتبوا فيَّ غزلاً، ولكم ما تشاؤون.

خاف الجميعُ.. وتغزلَ وضَّاحُ اليمن، وحين التقيا قيل إنها وقعت في غرامه.. فلم تكن رأت رجلا بهذا الجمال.

كانت أم البنين شديدة الورع، ولكنها لم تستطعْ أن تكف عن التفكير في وضاح اليمن، فاستدعته إلى دمشق وطلبت منه أن يمدح زوجها كثيرا حتى يقربه ويثق فيه.. وكان يزورها في قصرها بين الفينة والأخرى خصوصا عندما يكون الوليد على سفر أو في مجلسه بقصر الحكم؛ اتفق كل الرواة أنها كانت تكتفي منه بمتعة النظر والمجلس (وظاهرلي بعدان شي ماهو ذاك) وكانت تعطيه على كرمٍ من الدراهم والدنانير والذهب بلا حساب.

ذات يوم أرسل الوليد أحد خدمه في مهمة إلى أم البنين، وتصادف أن كان وضاح اليمن موجودا في قصرها، فأدخلته صندوق مجوهراتها الكبير وأغلقت عليه... التقط المرسول ما حدث وگرظ" لسيده.

يحكى أن الوليدَ قال له كذبتَ هذه ليست اخلاق أم البنين، و قتله في الحال.

ثم ذهب إلى قصر زوجته وأبدى لها رغبته في أن تعطيه صندوق مجوهراتها دون أن يشاطرها شكوكه و نواياه؛ حاولت أن "تُبَيْطِنَها" وتماطلَ، ولكن الرجل كان مُصرا.

حمل رجلان الصندوقَ الذي بدا ثقيلًا، وحفرا في صمتٍ عميقاً بجانب كرسي الحكم، ثم وضعا الصندوق ودفناه، وأعادا البساط كما هو؛ وقال الوليد ما معناه: إن كان ما بلغنا حقا فقد دفناه وإن كان "أساغه" لم نخسر شيئا..

وعوض أم البنين عن "ديرانها" ضعفا!

مات وضاح اليمن هكذا تقول الرواية.. وتضيف أن أم البنين قالت إنها لم تر فى وجه الوليد أثرا لذلك ولم يسألها في الموضوع مطلقا؛ فيبدو أنه آثر أن يحتفظ لها بصورة المرأة الوفية..

المهم أن وضاح اليمن أصبح أثرا بعد عين!

يُروى عن أم البنين الكثير من العبادة، وأعمال الخير.. كانت مولعة بصدقة السر وقيام الليل وكانت تعتق رقبة كل جمعة...

في الحقيقةِ لقد وقعتُ في حيرة من كمِّ الروايات المتناقضة عن حياة هذه الشاعرة الأميرة الجميلة.

#بونيس

ذات مرة دخلت عزة (حبيبة كثير) على أم البنين، فقالت لها: يا عزة ماهو الدَّينُ الذي يطالبكِ به كثير في هذا البيت؟:

قضى كلُّ ذي ديْنٍ فوفَّى غريمَهُ
وعزةُ ممطولٌ معنىّ غريمُها

قالت: كنتُ وعدته بقبلةٍ ولم أقضِها حرجاً وورعاً!

فقالت أم البنين: ويحكِ! قبِّليهِ وإثمُها عليَّ يوم القيامة...

قيل إنها ندمت على ذلك ندما عظيما وكانت كلما تذكرته بكتْ وتصدقت..

قلتُ: رحم الله الشاعرَ الوسيمَ وَضَّاحَ اليمن،
وخلاص!

#المجد_للشاعرات

#المجد_للأنثى_مطلقا